د. إسلام بن نصر الأزهري

محب الدين الطبري

حياته وعصره

شبكة الألوكة
www.alukah.net

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مُحِبُّ الدين الطَّبَرِيُّ

حياتهُ وعصرُهُ

إعداد

الدكتور/ إسلام بن نصر الأزهري

المدرس المساعد بكلية أصول الدين

قسم الحديث وعلومه

جامعة الأزهر

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المقدمة

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصَّلاةُ والسَّلامُ على نبيِّنا محمَّد، سيِّدِ الأوَّلين والآخرين، ورحمةِ الله للعالمين، وعلى آله وصحبِه ومن سار على دَربِهِ، واقتفى أثره إلى يوم الدِّين. **سبحانك لا علم لنا إلا ما علَّمتنا إنَّك أنت العليمُ الحكيمُ.**

وبعدُ ...

فإن سير علماء المسلمين ميراث عظيم، يحيي ذكرُه القلوبَ، ويرفع الهمم، ويسلي النفوس، ويربط الحاضر بالماضي. وأمَّة لا تعرف ـ بله تقدس وتحترم ـ ماضيها لا يمكن لها أن تبني حاضرها ومستقبلها.

في أخبارهم عبرة لأولي الأبصار، ليست بأساطير كأساطير الغربيين، التي يروونها لرفع خَسيسَتهم، أو لجبر نقصهم. بل هي نِتاج حضاريٌّ لأمة صنعت أعظم حضارة عرفتها الدنيا، كانت نواة لحضارات قامت على أكتافهم في أوقات ضعفهم.

ومن أعظم ما أتقرب به لربي ـ سبحانه ـ **التعبدُ** بحب أسلافنا الذين حُفظت بهم الشريعة، وارتفع بهم الدين. **ونشرُ** سيرهم وأخبارهم؛ ليس بكاءً على أطلال الماضي، بل: لتلمُّسِ القدوة، واستنهاض الهمة، واستخراج العبرة.

وقد تأثرت جدَّ التأثر بحياة الإمام أبي العباس أحمد بن عبد الله بن محمد، (المعروف بمحبِّ الدين الطبري المتوفى ٦٩٤هـ) وبأسرته العلمية، التي

www.alukah.net
شبكة الألوكة

كانت وريثَةَ علم النبوة، كابرا عن كابر، فكانت أكثرَ أصحاب البيوتات العلمية بمكة المكرمة، حيث توارث المحب الطبري، وبنو أعمامه، وآباؤهم، وأبناؤهم، وأحفادهم، رجالا ونساءً مناصب التدريس والقضاء، والخطابة وإمامة الحرم المكي نحو ستة قرون. **(وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ)** [الأعراف: ٥٨].

فترجمت له ولعصره الذي نشأ فيه ترجمة مختصرة، كانت جزءًا من قسم الدراسة في رسالتي التي تقدمت بها لقسم الحديث وعلومه بكلية أصول الدين بالقاهرة؛ لنيل درجة التخصص "الماجستير" في الحديث وعلومه، وكانت تحقيقا ودراسة لجزء من كتاب **(غاية الإحكام في أحاديث الأحكام)**. وقد سبقني إلى ترجمته بعضُ إخواننا الباحثين، على رأسهم أخونا المجتهد **الدكتور/ أسامة أمين** ـ وفقه الله ـ فاستفدت منهم، فأُفدْتُ بعض أشياءٍ مما ترجم به أخونا المباركُ الطُلَعَةُ **الدكتور/ أحمد محمد بدير** للمُحِبِّ الطَّبَرِيِّ ـ وفقه الله ـ. وجزى الله إخواننا خير الجزاء.

ثم استللتُها من الرسالة؛ علَّ أن ينتفع بها قارئٌ، فترتفع همته ومن يعول في خدم الإسلام وأهلِه.

ولله درُّ القائل:

كرِّر علـيّ حـديثَهم يـا حـادِي ... فحديثُهُم يجلُـو الفـؤَادَ الصَّـادِي

كـرِّر علـيَّ حـديثَهُم فلرُبَّمـا ... لَـانَ الحَديـدُ بضَـربَةِ الحَـدّادِ

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

إسلام بن نصر الأزهري

www.alukah.net
شبكة الألوكة

حَياةُ وشخصيَّةُ المُحِبِّ الطَّبَرِيِّ
(٦١٥-٦٩٤هـ/ ١٢١٨-١٢٩٤م).

أَوَّلًا: اسمُهُ، ونَسَبُهُ، ونِسبتُهُ، وكُنيتُهُ، ولقَبُهُ:

اسمه ونسبه:

الْإِمَامُ الكبيرُ العلمُ، شُيْخُ الشَّافعيَّة، وَمُحَدِّثُ الحجَازِ: أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَبِي بَكْرِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ فَارِسِ بْنِ يُوسُفَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ الوَاحِدِ بْنِ مُوسَى بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ[1].

---

(١) راجع ترجمته كاملة في: المعجم المختص بالمحدثين ص٢٢، تذكرة الحفاظ ١٤٧٤/٤، تاريخ الإسلام ٧٨٤/١٥، مرآة الجنان ١٦٨/٤، طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ١٨/٨، طبقات الشافعية للإسنوي ٧٢/٢، البداية والنهاية لابن كثير ٤٠٢/١٣، طبقات الشافعيين لابن كثير ٩٣٩/١، ذيل التقييد ٣٢٣/١، المنهل الصافي ٣٤٢/١، التحفة اللطيفة ١١٦/١-١١٧، طبقات الحفاظ للسيوطي ص٥١٤، الوافي بالوفيات ٩٠/٧، شذرات الذهب ٥٨/١، منتهى السؤل ٦٠٣/٢، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ٢/ ٤٥٧، ديوان الإسلام ٤/ ١٦٠.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقد انتهى جُلُّ من ترجم للمحبِّ الطبريِّ، إلى جده إبراهيم والدِ محمد. لكن ذكر باقي النَّسَبِ جماعة منهم: نجم الدين ابن فهد في ترجمة عبد الهادي بن محمد الطبري، من كتابه: **"معجم الشيوخ"**، حيث قال: "هكذا رأيت نسبه في ترجمة والده وأجداده، في عدة من الكتب والتواريخ، ولم يزد أحد منهم في النسب على ذلك، ثم رأيت بخط الرضيِّ محمد بن المحب. . . ووالده المحب زيادة على ذلك، وهي: أبو بكر بن علي بن فارس بن يوسف بن إبراهيم. . . إلخ"(١)

وقد سرد محمد أمين المحبيُّ الحموي في **"خلاصة الأثر"**، في ترجمة عبد القادر بن محمد بن يحيى بن مكرم، وهو يلتقي مع المحب الطبري في جده محمد بن إبراهيم. . سرد نسبه كما ذكرتُ، ثم قال: "قد ترْجم نَفسه ـ يعني عبدَ القادر ـ في بعض كتبه، فَقَالَ بعد أَن ذكر نَسَبَه: هَكَذَا سرد نسبه هَذَا أَئِمَّة التَّارِيخ وَالْعُلَمَاء الأكابر، وَهُوَ مُتَلَقّ لَهُ كَابِرًا عَن كَابر، فَإِن الْحَافِظ الْعُمْدَة سراجَ الدّين عمر بن فَهد، مؤرخَ مَكَّة ترْجم أَبَا بكر بن مُحَمَّد الطَّبَرِيّ، وَنَسَبَهُ فِي كتاب **"التَّبْيِين فِي تراجم الطبريين"** بِهَذَا النّسَب، وَوجد ذَلِك بِخَط الْحَافِظ الْعُمْدَة الْمُحدث أبي عبد الله مُحَمَّد بن أَحْمد بن الْوَادي آشي، وبخط الشَّيْخ تَقِيّ الدّين

---

(١) راجع: معجم الشيوخ ١٥٥، ونقله عنه حفيده جار الله ابن فهد في القول المؤتلف في نسبة الخمسة بيوت إلى الشرف/ ٢١.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بن فَهد، وَذكر أَنه وجده بِخَط الإِمَام رَضِيّ الدّين بن الْمُحب الطَّبَرِيّ، وسرده كَذَلِك السراج الفهدي فِي مُعْجَمه، وذيله على تَارِيخ الفاسي، الْمُسَمّى بـ **"الدر الكمين بذيل العقد الثمين" عِنْد تَرْجَمَة الإِمَام محب الدّين الطَّبَرِيّ**، وَذكره فِي تَرْجَمَة الْمَذْكُور أَيْضا الشَّيْخ الْعَلامَة عز الدّين بن فَهد فِي مُعْجَمه، وَفِي كِتَابه الْمُسَمّى: **"نزهة ذَوي الأحلام بأخبار الخطباء وَالْأَئِمَّة وقضاة بلد الله الْحَرَام"**، وَسَاقه أَيْضا الشَّيْخ الرَّحْلة جَار الله بن فَهد فِي مُعْجَمه الْمُسَمّى: **"نوافح النفح المِسْكِيّ بمعجم جَار الله بن فَهد الْمَكِّيّ"** عِنْد **تَرْجَمَة شَيْخه الإِمَام محيي الدّين الطَّبَرِيّ**، وَفِي كِتَابه الْمُسَمّى: **"القَوْل المؤتلف فِي الْخَمْسَة الْبيُوت المنسوبين للشرف"**[1].

وينتهي نسبه، إلى الحسين بن علي ـ رضي الله عنه ـ، كما تُرْجِم له في القول المؤتلف، وخلاصة الأثر، ويبدو أن البعض قد حاول نفي تلك النسبة، لكن قال ابن فهد المكي: "ولا عبرة بمن ينكر ذلك؛ لعدم شهرتهم بها، وكون بعض سلفهم الماضين لا يذكرونها، وذلك لورعهم واكتفائهم بالنسبة إلى العلم والدين، والإمامة بمقام الخليل في حرم الله الأمين، من مدة نحو ثلاثمائة سنة"[2]

---

(١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ٢/ ٤٥٧.

(٢) القول المؤتلف/ ٢٠.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

نِسبَتُهُ:

حفظت لنا المصادرُ ثلاثَ نِسَبٍ عُرِفَ بها المحبُّ الطبريُّ ـ رحمه الله ـ.

أولها: «**الطَّبَرِيُّ**» بِفَتْح الطَّاء وَالْبَاء الْمُوَحدَة، وآخرهَا رَاءٌ؛ نِسْبَة إِلَى طَبَرِستَان ـ بفتح الطاء والباء وكسر الراء ـ، وهو إقليم عرف بهذا الاسم منذ القرون القديمة، يقع شمال دولة إيران اليوم، ويمتد في معظمه على الساحل الجنوبي لبحر قزوين، عبر سلسلة جبال ضخمه، تسمى: "ألبروز". وهو الآن في محافظة تسمى «مازندران»، ويبعد عن «طَهران» نحو ٢٠٠ كم. ومعنى "الطبر" بالفارسية: الفأس. و"استان": الناحية، وقيل: الشجر. وسميت بذلك؛ قيل: لأن أهلها أهل حروب، وأسلحتهم الفؤوس. وقيل لأنها كانت محيطة بالأشجار الكثيرة، مما أعجز كسرى عن الوصول إليها إلا بعد تقطيعها[1].

قال ياقوت الحموي: "والحقّ الذي يعضده ما شاهدناه منهم، أن أهل تلك الجبال كثيروا الحروب، وأكثرُ أسلحتهم بل كلّها الأطبار ـ الفؤوس ـ، حتى إنك قلّ أن ترى صُعْلُوكًا أو غنيًّا إلَّا وبيده الطّبر،

(١) معجم البلدان ٤/ ١٤. والموسوعة الحرة ويكيبيديا.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

صغيرهم وكبيرهم، فكأنها لكثرتها فيهم سميت بذلك"[1]. وإليها نسب القاضي أبو الطيب طاهر بن عبد الله الطبري الإمام المشهور، وأبو بكر بن محمد بن إبراهيم بن أبى بكر بن على بن فارس الطبري أبو الطبريين بمكة، والإمام ابن جرير الطبري صاحب التفسير.[2]

وقد نُسِب الإمام المحبُّ الطَّبَرِيُّ إليها؛ مع أنه كان إمامًا في الحرم المكي؛ لأن جده الأعلى: موسى بنَ إبراهيم هرب إليها بعد طرد العباسيين له[3].

ثانيها: «**المكي**»؛ نسبةً إلى: مكة المكرمة، فقد ولد ونشأ بها.

وكان أولُ من قدم إليها من الطبريين: جَدَّهُ الشيخ أبا بكر بنَ علي بن فارس، وأنجب بها أبناءه الذين منهم: محمَّد ـ جد الطبري ـ، ومنهم: إسحاق ويعقوب القاضيان، وإبراهيم، وكان ذلك في حدود سنة ٥٧٠هـ.

---

(١) معجم البلدان ٤/ ١٤.

(٢) راجع: آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان/ ٦٩، معجم البلدان ٤/ ١٣، تاج العروس ١٢/ ٤١٣، الروض المعطار في خبر الأقطار/ ٣٨٣، الموسوعة الحرة ويكيبيديا.

(٣) ذكر ذلك الدكتور حمزة الزين في ترجمته للمحب الطبري في مقدمة كتاب غاية الإحكام ١/١٤.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قال الحافظُ الذَّهبيُّ: «كَانَ جَدُّ أَبِيهِ الشَّيْخُ أَبُو بَكْرِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الطَّبَرِسْتَانِيُّ، هُوَ الَّذِي جَاوَرَ فِي حُدُودِ الثَّمَانِينَ وَخَمْسِ مِائَةٍ، فَجَاءَهُ سَبْعَةُ أَوْلَادٍ، وَتَنَاسَلُوا، وَفِيهِمْ عُلَمَاءُ وَفُضَلَاءُ». (١)

ثالثها: «**الشافعي**»؛ نسبة إلى مذهب الإمام المطلبي محمد بن إدريس الشافعي، فقد تضلع فيه وتمكن منه. وكتابه "غاية الإحكام"، شاهد على ذلك.

قال الحافظ ابن كثير: "الشَّيْخُ مُحِبُّ الدِّينِ الطَّبَرِيُّ **الْمَكِّيُّ الشَّافِعِيُّ**، سَمِعَ الْكَثِيرَ وَصَنَّفَ فِي فُنُونٍ كَثِيرَةٍ، مِنْ ذَلِكَ كِتَابُ «الْأَحْكَامِ» فِي مُجَلَّدَاتٍ كَثِيرَةٍ مُفِيدَةٍ"(٢).

وقال الحافظ السيوطي: "المحب الطبري فَقِيه الْحرم، **المكي الشافعي**، مُصَنف الْأَحْكَام الْكُبْرَى **وَشَيخ الشَّافِعِيَّة**"(٣).

وسيأتي تفصيل الكلام في مذهبه عند الحديث على: مذهبه العقدي والفقهي ـ إن شاء الله ـ

---

(١) المعجم المختص بالمحدثين ٢٢.

(٢) البداية والنهاية ١٣/ ٤٠٢.

(٣) طبقات الحفاظ للسيوطي ٥١٤.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

كُنْيَتُهُ وَلَقَبُهُ:

ذكر شمسُ الدين السَّخَاوِيُّ في: **"التحفة اللطيفة"**، في ترجمة المحب الطبري: أنه يكنى **بأبي العباس، وأبي جعفر**، فقال: "أحمد بن عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن محمد بن إبراهيم، شيخ الحجاز فيما وصفه به البُرْزَالي، ومحدثُه فيما وصف به الذهبي، المحب أبو جعفر وأبو العباس الطبري، المكي الشافعي"(١). وأكثر المترجمين له على أن كنيته «أبو العباس».

وذكر ابنُ رشيدٍ الفهريُّ له كنيةً ثالثةً، وهي: **"أبو محمد"**. فقال: "وممن لقيتُ بمكة زادها الله شرفًا: الشيخُ الفقيه المحدث الإمام المصنف العالم العامل، فقيه الحرم الشريف، محب الدين، **أبو العباس، وأبو محمد**، أحمد بن عبد الله بن مُحَمَّدِ بْنِ أبي بكر الطبري المكي ـ رضي الله عنه ـ ونفع به وبأمثاله، وهو أحد العلماء الفضلاء، لقيته بالحرم الشريف، وطلبت منه السماع والإجازة، فوعدني في غالب ظني، وضاق الوقت عن ذلك، وأجاز لي بخطه ـ باستدعاء رفيقي الوزير الكاتب البليغ أبي عبد الله، تولى الله شكره

(١) التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة ١/ ١١٦.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ويسر أمره ـ جميعَ ما رواه وألَّفَهُ على العموم، ولِابني أبي القاسم ـ أسعده الله ـ ولجماعة من الأصحاب"[1].

فمجموع الكُنى التي ذكرت له ثلاثة: **(أبو العباس)** وهي أشهرها وأكثرها. و**(أبو جعفر)**، وهي مثل السابقة في الشهرة، و**(أبو محمد)**، وهي أقلهن.

أما لقبه: فقد كان المحب الطبري يلقب بألقاب كثيرة، بعضها يرجع إلى مكانته العلمية، مثل: «شيخ الحرم»: كما قال اليافعي[2]، والسبكي وزاد: «حافظ الْحجاز بِلَا مدافعة»[3]، وقال الذهبي والسيوطي: «فقيه الحرم» و«محدث الحجاز» و«شيخ الشافعية»[4].

وبعضها الآخر يتعلق بحبه لآل بيت رسول الله ـ ﷺ ـ، ولا غرو فهو من نسلهم، من ولد الحسين بن علي، وقد تجلى هذا الحب في

---

(١) ملء العيبة بما جُمع بطول الغَيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطَيبة/ ٢٣٣.

(٢) مرآة الجنان ١٦٨/٤.

(٣) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ١٨/٨،

(٤) المعجم المختص بالمحدثين/ ٢٢، تذكرة الحفاظ ١٤٧٤/٤، تاريخ الإسلام ٧٨٤/١٥.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الطبريين جميعا. ومن مظاهره: تسمية رجالهم بـ: «محمد» و«أحمد» و«الحسن» و«الحسين». . . وغير ذلك، وتسمية نسائهم بـ: «عائشة» و«زينب» و«فاطمة». . وغير ذلك، وفي ألقابهم: «الرضي»، و«المحب» أو «محب الدين»، وهذا اللقب يتكرر كثيرًا في آبائه وأجداده من قبله، كما يتكرر في عقبه وذريته من بعده[1].

وقد كان للمحب الطبري لقب آخر، لكنه كان يكرهه، وهو «محيي الدين». قال تقي الدين الفاسي في "العقد الثمين": «وكان الشيخ محب الدين الطبريُّ يلقب بمحيي الدين، قبل أن يلقب بمحب الدين، وكان يكره اللقب الأول، فزار المدينة النبوية، ومدح النبي ـ ﷺ ـ بقصيدة، وسأل أن تكون جائزته عليها: أن يزول عنه اللقب الأول، فزال حتى كأن لم يكن». وكذا قال السخاوي في: "التحفة اللطيفة"[2].

ولعل سبب كراهيته لهذا اللقب "محيي الدين": أن فيه تزكيةً للنفس، والله ـ عز وجل ـ يقول: **(فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ**

---

(١) الناظر في تراجم الطبريين جميعا يتجلى له ذلك، وراجع على سبيل المثال، كتاب: الدر الكمين بذيل العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين.

(٢) راجع: العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ٣/ ٦٧، والتحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة ١/ ١١٧.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

اتَّقَى). [النجم: ٣٢] ففضل "محبَّ الدين" عليه؛ لأنه خلا من تلك التزكية. وربما لأسباب أخرى. والله أعلم.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ثانيا: أسرته، ومولده، ونَشأته:

من المعلوم والمقرر أن البيئة المحيطة بالإنسان من أكبر العوامل المؤثرة في تكوين شخصيته، فنجاحاته وإخفاقاته مرتبطة ببيئته.

وقد كانت أسرة المحب الطبري، وريثةَ علم النبوة، كابرا عن كابر، فكانت أكثرَ أصحاب البيوتات العلمية بمكة المكرمة، حيث توارث المحب الطبري، وبنو أعمامه، وآباؤهم، وأبناؤهم، وأحفادهم، مناصب التدريس والقضاء، والخطابة وإمامة الحرم المكي نحو ستة قرون.

قال المحبيُّ الحمويُّ: "والطبريون بَيت علم وَشرف مَشْهُورُونَ فِي مَشَارِق الأَرْض وَمَغَارِبهَا، وهم أقدم ذَوي الْبيُوت بِمَكَّة، فَإِن الشَّيْخ رَضِيَّ الدّين أَبا بكر مُحَمَّد بن أبي بكر بن عَليّ بن فَارس الْحُسَيْنِي الطَّبَرِيّ، كان أولَ من قدم منهم مكة. قيل سنة سبعين وَخَمْسمائة، أو فِي الَّتِي بعْدهَا، وَانْقطع بهَا، وزار النَّبِي، وَسَأَلَ الله ـ تَعَالَى ـ عِنْده أَوْلَادًا عُلَمَاء هداةً مرضيين، فَوُلِدَ لَهُ سَبْعَة أَوْلَاد، وهم: مُحَمَّد، وَأحمد، وَعلي، وَإِبْرَاهِيم، وَإِسْمَاعِيل، وَإِسْحَاق، وَيَعْقُوب، وَكَانُوا كلهم فُقَهَاء عُلَمَاء مدرسين"[1].

(١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ٢/ ٤٦١.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال عبد الملك العصامي المكي، في ترجمة عبد القادر بن محمد الطبري: "والطبريون سادةٌ، من غير الْفضل بريئون"(١).

وقال عبد الله بن سعيد المراوعي المكي، وهو يتحدث عن المحب الطبري ـ رحمه الله ـ: وهو "فرعُ دوحة كبيرة من دوحات الشّرف والرياسة؛ في العلم والحسب، ينتهي نسبهم إلى سيّدنا الحسين السّبط بن عليّ بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ، رسخت أصولهم في «طبرستان»؛ من بلاد العجم في الشرق، وامتدت فروعهم إلى أمّ القرى في بلاد الحجاز، وتوارث هو وبنو أعمامه وأبناؤهم وأحفادهم مناصب التدريس والقضاء والخطابة وإمامة الحرم المكي نحو ستة قرون"(٢).

وقال خير الدين الزركلي: "والطبريون من بيوت العلم والسيادة بمكة"(٣).

وقد كانت آراؤهم تدون، ويتناقلها أهل العلم، كما يتناقلون مذاهب أهل العلم المشهورة(١).

---

(١) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي ٤/ ٤١١.

(٢) منتهى السؤل على وسائل الوصول إلى شمائل الرسول ٢/ ٦٠٣.

(٣) الأعلام للزركلي ٤/ ٣٠١.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقد كان الأشراف حكّامُ مكّة، لا يعدلون بهم أحداً في الشَّرف والصِّهر والنّسب. وكان نساء هذه الأسرة يبارين فحول الرجال في رفع منار العلم، والاستباق إلى غايات المجد.

وكان دخول القضاء وإمامة مقام إبراهيم في بيتهم سنة ٦٧٣هـ، كما ذكره النجم بن فهد في تاريخه «**إتحاف الورى بأخبار أمّ القرى**»، والفاسيّ في «**العقد الثمين**».

وكان منصب الخطابة قديما ينتقل بمكّة في ثلاثة بيوت: الطبريين، والظهريين، والنّويريين. وبيت الطبريّ أقدمهم في ذلك، كما يعلم من كتب التواريخ. ومن خطباءهم: المحبّ الطّبريّ، والبهاء الطبريّ، ولهم مزيد تقوى وورع وصلاح، وتوفّر أسباب الخير والفلاح. ومن طالع «**العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين**» للفاسي علم ما لهم من المناقب، وما اشتملوا عليه من المناصب[٢].

---

(١) وراجع على سبيل المثال: العزيز شرح الوجيز المعروف بالشرح الكبير ١٢/ ١٦٩، المجموع شرح المهذب ٩/ ٤٨، روضة الطالبين وعمدة المفتين ٣/ ٢٨٩.

(٢) راجع: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ٢/ ٤٦٢، منتهى السؤل على وسائل الوصول إلى شمائل الرسول ٢/ ٦٠٥.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مولده:

وفي هذه الأسرة العلمية المباركة الحسينية، سطعت شمس أخرى من شموس العلم، أضاءت دروب السالكين، حيث ولد الإمام الكبير العلامة أبو جعفر أحمد بن عبد الله بن محمد، المحب الطبري ـ رحمهم الله جميعا ـ، بمكة المكرمة.

وقد تعددت أقوال أهل العلم في تأريخ مولده، على أربعة أقوال:

أولها: أنه ولد سنة خمس عشرة وستمائة (٦١٥هـ). وهو القول الصحيح والمعتمد، الذي عليه جمهور المؤرخين(١).

وقد اتفق أصحاب هذا القول على أنه ولد في جمادى الآخرة(١).

واختلفوا في اليوم، فجمهورهم على أنه ولد في يوم الخميس السابع

---

(١) راجع: المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي ١/ ٣٤٢، العبر في خبر من غبر ٣/ ٣٨٢، تاريخ الإسلام ١٥/ ٧٨٤، معجم الشيوخ الكبير للذهبي ١/ ٥١، الوافي بالوفيات ٧/ ٩٠، طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٨/ ١٨، طبقات الشافعيين ٩٣٩، ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد ١/ ٣٢٣، السلوك لمعرفة دول الملوك ٢/ ٢٦٤، طبقات الشافعية لابن قاضى شهبة ٢/ ١٦٢، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة ١/ ١١٧، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ٧/ ٧٤٣، النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ٨/ ٧٤، طبقات الشافعيين ٩٣٩، طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٨/ ١٨، الوافي بالوفيات ٧/ ٩٠، ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد ١/ ٣٢٣.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والعشرين[٢]. وحكى أبو حيان الغرناطي أنه ولد في الخامس والعشرين من جمادى الآخرة[٣].

وهو التاريخ المدون على عنوان المخطوط في المجلد الأول من نسخة مكتبة كوبرلي بتركيا.

ثانيهن: أنه ولد سنة أربع عشرة وستمائة (٦١٤هـ). وقد حكاه الفاسي في: "**ذيل التقييد**"[٤]. وقال الفاسي: "وذكر البُرْزَالِيُّ عن أمين الدين الواني أنه كتب إليهم من مكة، أنه ولد سنة أربع عشرة وستمائة"[٥].

---

(١) راجع: المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي ١/ ٣٤٢، طبقات الشافعية لابن قاضى شهبة ٢/ ١٦٢، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة ١/ ١١٧، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ٧/ ٧٤٣، معجم الشيوخ الكبير للذهبي ١/ ٥١.

(٢) راجع: النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ٨/ ٧٤، العبر في خبر من غبر ٣/ ٣٨٢،

تاريخ الإسلام ١٥/ ٧٨٤، المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي ١/ ٣٤٢.

(٣) العقد الثمين ٣/ ٦٧.

(٤) ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد ١/ ٣٢٣.

(٥) العقد الثمين ٣/ ٦٧.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ثالثهن: أنه ولد سنة عشر وستمائة (٦١٠هـ). وهو الذي ذكره البدر العيني في: "**عقد الجمان**"(١).

رابعهن: أنه ولد سنة إحدى عشرة وستمائة (٦١١هـ). وهو الذي ذكره إسماعيل بن محمد البغدادي في: "**هدية العارفين**"(٢). ولا أدري على ما اعتمد العيني والبغدادي في قوليهما.

نشأته:

سبق بيان أن الشيخ رَضِيَّ الدّين أَبا بكر مُحَمَّد بن أبي بكر بن عَلِيّ بن فَارس الْحُسَيْنِي الطَّبَرِيّ، كان أول من قدم منهم مكة، وقد رزقه الله سَبْعَة أَوْلَاد، كلهم علماء وفقهاء. منهم: مُحَمَّد بن أبي بكر (ت: ٦٠٥هـ)، وأحمد بن أبي بكر (ت: ٦١٤هـ). وقد تزوج محمد، وأنجب أولادًا، منهم: عبد الله، وكان عالما جليل القدر كآبائه. وتزوج أحمد، وأنجب أولادًا، منهم: سَيِّدة، وكانت عالمة جليلة القدر، سمعت شعيبًا الزعفراني (ت: ٦٤٥هـ)، وابن حَرَمِي (٦٤٥هـ). ثم تزوج عبد الله بن محمد، بابنة عمه سيدة بنت أحمد. وفي كنف هذين الأبوين المباركين الحسيبين، تربَّى الإمامُ الكبير

---

(١) عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ٣/ ٢٨٤.

(٢) هدية العارفين ١/ ١٠١.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

العلامة أبو جعفر أحمد بن عبد الله بن محمد، أبو جعفر، المحب الطبري ـ رحمهم الله جميعا ـ[1].

وقد نشأ الشيخ محب الدين الطبري في هذا البيت العلمي، فكان فرعَ دَوْحَةٍ كبيرة من دوْحَات الشّرف والرياسة؛ يقتفي أثر آبائه، في العلم والعمل، ساعده في ذلك: البيئة العلمية المحيطة به، مع جواره مكة المكرمة، حتى صار بعد فترة وجيزة شيخ الحجاز، وإمام الشافعية.

(١) راجع: الدر الكمين بذيل العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ٢/ ١٤٧١.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ثَالِثًا: طَلَبُهُ لِلْعِلْمِ، وَذِكْرُ شُيُوخِهِ، وَرِحْلَاتِهِ:

المناخُ العلميُّ الذي كان يعيشه المحب الطبري، ساعده على أن يتبوأ مكانة علمية رفيعة بين أقرانه، فقد طلب العلم على أبيه وأعمامه، وشيوخ بلده، والشيوخ الوافدين عليها، وعلى من رحل هو إليهم كالإمام علي بن وهب بن مطيع القشيري، والد ابن دقيق العيد.

قال ابن تغري بردي: "ونشأ بمكة، وطلب العلم، وسمع بها، وقرأ على أبي الحسن علي بن المقير سنن أبي داود، وسنن النسائي، والوسيط للواحدي، وبعض الجمع بين الصحيحين، والفصيح لثعلب، والغريب للعزيزي، وغير ذلك. وعلى عبد الرحمن بن أبي حرمي من أول صحيح البخاري إلى قصة كعب بن مالك، وقيل أنه سمعه كاملًا. وعلى عَمَّيْ أبيه: تقي الدين علي بن أبي بكر الطبري، وأخيه يعقوب صحيحَ البخاري، وعلى يعقوب بن أبي بكر الطبري جامع الترمذي، وعلي شرف الدين أبي الفضل المرسي صحيحَ ابن حبان. وعلى أبي الحسن بن الجميزي الأربعين الثقفية، والأربعين البلدانية للسلفي. وعلى شعيب الزعفراني الأربعين البلدانية والأربعين الثقفية أيضا. وعلى محيي الدين محمد بن أحمد بن محمد بن أبي جرادة المعروف بابن العديم. وعلى ريحان بن عبد الله الشرفي السكيني جزء الأنصاري. وعلي شيخ الحرم نجم الدين بشير بن حامد التبريزي جزء

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الأنصاري أيضا، وكتاب: التنبيه في الفقه. وتفقه عليه، وعنه أخذ العلم، وعلى جماعة أخر من شيوخ مكة والقادمين إليها. وأجاز له من بغداد ابن الخازن، وجماعة، مع آخرين من الشام ومصر"[(١)].

وقد درس القراءات وعلوم القرآن، وعلوم الحديث، رواية ودراية، وتفنن في الفقه، وتضلع بالتاريخ والأدب، وغير ذلك، حتى صار شيخ الشافعية، ومحدث الحجاز، وذاع صيته وانتشر حتى بلغ أقاصي الدنيا.

ومن شيوخه الذين وقفت عليهم[(٢)]:

١ـ عم أبويه: القاضي أبو يوسف إسحاق بن أبي بكر بن محمد بن إبراهيم الطبري، المكي، سمع في مكة وحلب وغيرهما، وتوفي سنة ثمان وستين وستمائة[(٣)].

٢ـ التبريزي: الإمام نجم الدين أبو النعمان بن بشير بن حامد بن سليمان بن يوسف بن سليمان بن عبدالله القرشيّ الهاشميّ الصوفيّ

---

(١) المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي ١/ ٣٤٣. وراجع: ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد ١/ ٣٢٣، تاريخ الإسلام ١٥/ ٧٨٤، معجم الشيوخ الكبير للذهبي ١/ ٥١.

(٢) قد ذكرت أشهرهم، ورتبتهم حسب الترتيب المعجمي.

(٣) بغية الطلب فى تاريخ حلب ٣/ ١٥٤٣.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الفقيه، كان مشهوراً بالعلم والفضل، توفي بمكة مجاوراً في ثالث صفر سنة ست وأربعين وستمائة[1].

وقد لازمه وتفقه عليه، وقرأ عليه كتاب التنبيه لأبي إسحاق الشيرازي، وجزء الأنصاري[2].

٣ـ ريحان أبو روح: ريحان بن عبد الله الحبشي، أبو روح الخادم، عتيق أبي المعالي المكي. كان أحد عباد الله الصَّالِحين الزهاد الصابرين على الْفقر، وَكَانَ ملازمًا لِلْعِبَادَةِ. وطلب الحديث، ولازم قراءته على الشيوخ إلى أن أسن. وتوفي سنة ثلاث وستين وخمس مئة. وعمره ستون سنة[3].

وقد قرأ عليه: جزء الأنصاري[4].

٤ـ ابن الزعفراني: شُعَيْب بن يحيى بن أحمد بن محمد بن عطية، أبو مَدْيَن القيرواني الأصل الإسكندرانيّ التاجر ابن الزَعْفَرَانِيّ نزيل مكة، ولد سنة خمس وستين وخمسمائة وسمع من السِّلَفِيّ، وجاور

---

(١) تاريخ الإسلام ١٤/ ٥٤٣، سير أعلام النبلاء ٢٣/ ٢٥٥، الوافي بالوفيات ١٠/ ١٠١، طبقات الشافعية للسبكي ٨/ ١٣٣.

(٢) العقد الثمين ٣/ ٦١، المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي ١/ ٣٤٣.

(٣) الوافي بالوفيات ١٤/ ١٠٧، ذيل تاريخ بغداد لابن الدبيثي ٣/ ٢٧٦.

(٤) المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي ١/ ٣٤٣.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مدة، وكان معروفًا بالبر والإيثار. وتوفي في الثالث والعشرين من ذي القعدة سنة خمس وأربعين وستمائة وله ثمانون سنة[1].

وقد قرأ عليه: الأربعين البلدانية، والأربعين الثقفية[2].

٥ـ **ابن حَرَمِيّ:** أبو القاسم عبد الرحمن بن أبي حَرَمِيّ بن فُتُوح بن بَنِيْنَ المكي الكاتب العَطَّار، ولد سنة بضع وأربعين وخمسمائة، ورحل إلى الشام والعراق. روى عنه: الإمام محب الدين الطبري، والقاضي مجد الدين ابن العديم، والحافظ شرف الدين الدِّمْيَاطيّ، وآخرون، توفي في نصف رجب سنة خمس وأربعين وست مائة[3].

وقد قرأ عليه من أول صحيح البخاري إلى قصة كعب بن مالك، ولعله سمعه كله[4].

٦ـ **ابن المقير البغدادي:** أبوالحسن عَلِيّ بْنِ أَبِي عُبَيْدِ اللَّهِ الحسين بن علي بن منصور ابن المُقَيِّرِ البغدادي الأَزَجيّ[1] المقرئ

---

(١) تاريخ الإسلام ١٤/ ٥١٦، سير أعلام النبلاء٢٣/ ٢٦٨-٢٦٩، شذرات الذهب ٧/ ٣٩٩.

(٢) العقد الثمين ٣/ ٦١، المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي ١/ ٣٤٣.

(٣) تاريخ الإسلام ١٤/ ٥١٨، ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد ٢/ ٩١.

(٤) المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي ١/ ٣٤٣. وراجع: ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد ١/ ٣٢٣.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الحنبلي النجار نزيل مصر. ولد سنة خمس وأربعين وخمس مائة. وأجاز له: غير واحد، وحدث ببغداد، ودمشق، ومصر، ومكة، وكان شيخًا صالحًا كثير التهجد والعبادة، توفى سنة: ثلاث وأربعين وست مائة(٢).

وقد سمع منه المحب الطبري سننَ أبي داود، وسننَ النسائي، والوسيطَ للواحدي، وبعضَ الجمع بين الصحيحين، والفصيحَ لثعلب، والغريبَ للعزيزي، والشفا، وغيرَها(٣).

٧ـ **ابْنُ الجُمَّيْزِيّ:** علي بن هِبَةِ الله بن سلامة بن المُسلم بن أحمد اللَّخْمِيّ، الفقيه الورع بهاء الدين ابن الجُمَّيْزِيّ، ولد يوم عيد الأضحى سنة تسع وخمسين وخمسمائة بمصر، وحفظ القرآن وهو ابن عشر سنين أو أقل، ورحل به أبوه فسمع بدمشق من: أبى القاسم ابن

---

(١) نسبة إلى باب الأَزَج، وهي محلة كبيرة ببغداد. اللباب ١/٤٥.

(٢) سير أعلام النبلاء ٢٣/ ١١٩، مقدمة الرياض النضرة ١/٤٥.

(٣) المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي ١/ ٣٤٢، ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد ١/ ٣٢٣.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عساكر في سنة ثمان وستين صحيح البخاري بفوتٍ قليل، توفى في الرابع والعشرين من ذي الحجة سنة تسع وأربعين وست مائة[1].

وقد قرأ عليه: الأربعين البلدانية، والأربعين الثقفية[2].

٨ـ **ابْنُ العَدِيمِ:** العلامة كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبى جَرَادَة العقيليّ الحلبي الفقيه الحنفيّ الكاتب المجيد المعروف بابن العديم. كان إمامًا فاضلًا متفننًا في العلوم، جامعًا لها، أحد الرؤساء المشهورين والعلماء، وكان له من الوجاهة العظيمة والحرمة الوافرة عند الخلفاء والملوك وغيرهم، وهو مع ذلك كثير التواضع ولين الجانب وحسن الملتقى والبشر لسائر الناس، وكانت وفاته في العشرين من جمادى الأولى سنة ستين وستمائة[3].

وقد قرأ عليه: جزء الأنصاري[4].

---

(١) سير أعلام النبلاء ٢٣/ ٢٥٣، العبر في خبر من غبر ٣/ ٢٦٣، طبقات الشافعية للسبكي ٨/ ٣٠١، شذرات الذهب ٧/ ٤٢٥.

(٢) العقد الثمين ٣/ ٦١، المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي ١/ ٣٤٣.

(٣) إكمال الإكمال لابن نقطة ٢/ ٣٥، ذيل مرآة الزمان ٢/ ١٧٧، العبر في خبر من غبر ٣/ ٣٠٠، مجمع الآداب في معجم الألقاب ٤/ ٢١٠.

(٤) المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي ١/ ٣٤٣.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٩- **عم أبويه:** يعقوب بن أبى بكر بن محمد بن إبراهيم الطبري المكي الشافعي يلقب بالجمّال، عمُّ أبوي المحب الطبري، ولد في المحرم سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة بمكة، وسمع بها من يونس الهاشمي: صحيح البخاري، ومن زاهر بن رستم: جامع الترمذي، وغير ذلك، توفي في سلخ شعبان سنة خمس وستين وستمائة بمكة[(١)].

وقرأ عليه صحيح البخاري، وسنن أبي داود، وجامع الترمذي[(٢)].

١٠ـ **المُرْسِيُّ:** العلامة المفسر، النحوي، المحدث، شرف الدين محمد بن أبى الفَضْلِ الْمُرْسِيّ، كان شيخًا فاضلًا متقنًا محققاً للبحث كثير الحج، له مكانة عند الأكابر. وكانت وفاته-رحمه الله- في منتصف ربيع الأول سنة خمس وخمسين وستمائة[(٣)].

وقد قرأ عليه صحيح مسلم، وصحيح ابن حبان[(٤)]

---

(١) تاريخ الإسلام ١٥/ ١٢٤، ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد ٢/ ٣١٢.

(٢) المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي ١/ ٣٤٣، ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد ١/ ٣٢٣.

(٣) سير أعلام النبلاء ٢٣/ ٣١٢، البداية والنهاية ١٣/ ٢٣٠.

(٤) العقد الثمين ٣/ ٦١، المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي ١/ ٣٤٣، ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد ١/ ٣٢٣.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

١١ـ ابْنُ مُسْدِيّ: الحافظ أبو بكر محمد بن يوسف بن موسى بن يوسف بن مسدي الأندلسي الأزديُّ، خطيب بليغ فيه تشيع، صاحب الزيدية، قدموه لخطابة الحرم، وله مصنفات تدل عل تبحره في الحديث والعِلم. منها: معجمه في ثلاثة مجلّدات. ومَنْسَك كبير في مجلدٍ ضخْم ذكر فيه المذاهب، وحججها، وأدلّتها. توفي سنة ثلاث وستين وستمائة[١].

وقد قرأ عليه: الحديث، ومناقب أبي بكر الصديق، ومناقب عمر بن الخطاب[٢].

وللمحب الطبري غير هؤلاء كثير من الشيوخ، فقد ذكر الفاسي أن الطبري ذكر في مشيخته التي أعدها للملك المظفر: أنه قد بلغ عدد شيوخه فيها: خمسين شيخًا[٣].

رحلاته:

البيئة التي كان يعيش فيها الإمام المحب الطبري، والظروفُ التي أحاطت به، كانتا تغنيانه عن الرحلة.

---

(١) تاريخ الإسلام ١٥/ ٩١، الوافي بالوفيات ٥/ ١٦٦.

(٢) المحب لدين الله وأثره في الحياة العلمية في عصره/ ٦١.

(٣) راجع: العقد الثمين ٣/٦٢

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فقد نَشَأَ في أكبر أسرة علمية في مكة، عندهم من العلم ما يغنيه عن غيرهم؛ ليكون في مصافِّ الأئمة الأعلام. وهذا الوضع العلمي المعروف لدى علماء عصره، جعلت هناك تلاقُحًا علميًا وفكريًا، مما ساعده على النبوغ من غير رحلة.

أضف إلى أنه كان مجاورا بيتَ الله الحرام، وقد كفلت له تلك المجاورة أن يلتقيَ بعلماء المسلمين، الذين يأتون من شتى البقاع حاجين أو معتمرين أو زائرين، أو فارِّين من بلادهم لائذين بالبلد الحرام، ينشدون الأمن الذي فقدوه في بلادهم بسبب الاضطرابات السياسية.

ومع ذلك فقد حفظت لنا المصادر التاريخية عدة رحلات علمية قام بها المحب الطبري. قال يوسف بن تغري بردي واصفا إياه: "نشأ بمكّة، وطلب العلم، وسمع الكثير، ورحل البلاد"[1].

ومن رحلاته التي قام بها: رحلته إلى المدينة المنورة، زائرا، ومفيدا، ومستفيدا، كما يظهر من ترجمة الفاسي والسخاوي له. وهذا واضح أيضا في بعض أشعاره التي وصف بها المنازل بين مكة والمدينة[2].

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ٨/ ٧٤.

(٢) العقد الثمين ٣/ ٦٧، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة ١/ ١١٧.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ومن رحلاته: رحلته إلى اليمن مُفِيدًا، بطلب من أميرها. قال الذهبي: "صنَّف كتابًا كبيرًا إلى الغاية فِي: "الأحكام" رَأَيْته فِي ستّ مجلّدات، وتعب عليه مدّة. ورحل إلى اليمن، وأسمعه للسّلطان صاحب اليمن"(١).

وكانت رحلته إلى اليمن بطلب من أميرها الملك المظفر يوسف بن عمر الغساني، فأقام عنده سنتين، وكانت له حظوة عظيمة عنده، وكان يحسن إليه كثيرًا، ورتَّبَ له في كل شهر خمسين دينارًا على تدريس مدرسة والده بمكة المعروفة بالمنصورية. (٢)

قال التاج السبكي: "استدعاه المظفر صَاحب الْيمن؛ ليسمع عَلَيْهِ الحَدِيث، فَتوجه إِلَيْهِ من مَكَّة، وَأقَام عِنْده مُدَّة"(٣).

---

(١) تاريخ الإسلام ١٥/ ٧٨٤، طبقات الشافعية لابن قاضى شهبة ٢/ ١٦٢، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ٧/ ٧٤٤.

(٢) نسبةً إلى الملك المنصور صاحب اليمن، وهى بالجانب الغربي من المسجد الحرام، وكانت موقوفة على فقهاء الشافعية. **راجع: العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية ١/ ٢٣٣، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ١/ ٤٢٨.**

(٣) طبقات الشافعية الكبرى ٨/ ١٩.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ومن رحلاته: رحلته إلى مصر، فقد تفقه بـ "قُوص"[(١)]، في صعيد مصر على الشيخ مجد الدين علي بن وهب بن مطيع القشيري، والد ابن دقيق العيد[(٢)].

قال التاج السبكي: "وتفقه بقوص على الشَّيْخ مجد الدّين الْقشيرِي وَالِد شيخ الْإِسْلَام تَقِيّ الدّين"[(٣)]. يعني ابنَ دقيق العيد.

---

(١) بضم القاف وصاد مهملة، وهى مدينة كبيرة واسعة بمحافظة قنا، تقع على الساحل الشرقي من النيل جنوب القاهرة بحوالي (٦٤٥كم)، وهى قصبة صعيد مصر، ومن علمائها: الفقيه مجد الدين القشيري، وابنه قاضى القضاة تقى الدين ابن دقيق العيد. راجع: **معجم البلدان ٤/ ٤١٣، رحلة ابن بطوطة ١/ ٣٧ - ٣٨، الموسوعة الحرة ويكيبيديا.**

(٢) راجع ترجمته في: تاريخ الإسلام ١٥/ ١٤٤، الوافي بالوفيات ٢٢/ ١٨٤.

(٣) طبقات الشافعية الكبرى ٨/ ١٩، المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي ١/ ٣٤٦.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

رَابِعًا: مَكَانَتُهُ، وَمَنَاصِبُهُ العِلْمِيَّةِ، وَثَنَاءُ أَهْلِ العِلْمِ عَلَيْهِ:

بَوَّأَ الله ـ عز وجل ـ الإمامَ محب الدين الطبري مكانة عظيمة، جعلته يحظى بقبول كبير عند العلماء والعامَّة. ويرجع هذا إلى أمور:

الأول: إخلاصُه، وحبَّه لدينه، وبذلُه نفسَه لهُ، وحرصُه على رضاء ربه ـ سبحانه وتعالى ـ وسعيُه في نفع الناس، وقضاءُ حوائجهم، بما أوتي من وجاهة عند الملوك والأمراء.

ويظهر هذا فيما ذكره بهاء الدين الجندي اليمني في: "**السلوك في طبقات العلماء والملوك**": أن الشيخ أبا الحسن علي بن أحمد الأصبحي، لما قدم الْفَقِيه الْمُحب الطَّبَرِيّ من مَكَّة الى تعز باستدعاء من السُّلْطَان المظفر، وأقام بهَا، وَسمع الْفُقَهَاءُ عَلَيْهِ عدَّةَ كتب، وَقَرَأَ عَلَيْهِ المظفر سَمَاعا كتبا من الحَدِيث وَالْفِقْه وَغَيرهمَا. . وصل اليه أبو الحسن الأصبحي، وَقَرَأَ عَلَيْهِ من جملَة من قَرَأَ عَلَيْهِ، ثمَّ أخبره بِحَدِيث الْخراج[1]، وأنه يعجز عَنهُ، فَأمره أن يكْتب ورقة الى

---

(١) الله أعلم بالمراد بقوله هذا، ولعله يقصد حديث عائشة: أن رجلاً ابتاع غلاماً، فأقام عنده ما شاء اللهُ أن يُقيم، ثم وجد به عيباً، فخاصمه إلى النبيَّ -صلَّى الله عليه وسلم-، فردّة عليه، فقال الرجلُ: يا رسولَ الله قد استغلَّ غلامي، فقال رسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلم -: "الخَرَاجُ بالضمَانِ"

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المظفر، ففعل. وَلما دخل على الْعَادة عرضهَا، وَتكلم مَعهَ كلَاما لايقا بِالْوَقْتِ، فَكتب لَهُ المظفر بمسامحته فسومح(١).

وقد أخرجه أبو داود، أول كتاب البيوع، باب إذا اختلف البيّعان والبَيْعُ قائم، ٥/ ٣٧٠، برقم ٣٥١٠، وغيره وَقد ضَعفه البُخَارِيّ وَأَبُو دَاوُد، وَصَححهُ ابْن خُزَيْمَة وَالْحَاكِم، وَهُوَ عِنْد الْفُقَهَاء مَعْمُول بِهِ، أَي: من ضمن الْمَبِيع أَخذ أجرته.

قال أبو الفضل ابن طاهر المقدسي: "رَوَاهُ يَعْقُوب بن الْوَلِيد، وخَالِد بن مهْرَان المكفوف: عَن هِشَام بن عُرْوَة، عَن أَبِيه، عَن عَائِشَة. وَهَذَا حَدِيث مُسلم بن خَالِد عَن هِشَام بن عُرْوَة سَرقه مِنْهُ يَعْقُوب هَذَا، وخَالِد بن مهْرَان مَجْهُول. وَأورده فِي تَرْجَمَة مُصعب بن إِبْرَاهِيم: عَن ابْن جريج، عَن الزُّهْرِيّ، عَن عُرْوَة، عَن عَائِشَة. وَهَذَا مُنكر عَن الزُّهْرِيّ، وانما يرْوى هَذَا ابْن أبي ذِئْب: عَن مخلد بن خفاف، عَن عُرْوَة. ويروى هَذَا عَن ابْن جريج، عَن ابْن أبي ذِئْب، عَن مخلد بن خفاف. **ذخيرة الحفاظ ٣/ ١٣١١.**

وقال ابن الصلاح: "حسَّنه " الترمذي " من طريق مخلد بن خُفاف، عن عروة عن عائشة، وصححه " ابنُ حبان " من هذا الطريق. ورواه " الترمذي " من حديث عُمَرَ بنِ علي المُقَدَّمي عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة، وقال: "هذا حديث حسن صحيح غريب من حديث هشام". واستغربه البخاري من حديث عُمَرَ بن علي". **مقدمة ابن الصلاح ومحاسن الاصطلاح ٧٠٥.**

(١) السلوك في طبقات العلماء والملوك ٢/ ٧٩.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الثاني: صلاحه، وتقواه، وزهده، وورَعه، وعبادته الدائبة.

قال أبو اليُمن ابنُ عسَاكر: "لم أر المحب في وقت من الأوقات إلا في عمل من صلاة أو طواف أو دعاء أو تعليم علم أو تصنيفه أو نحو هذا"(١).

الثالث: سعة علمه واطلاعه، وقوة فهمه.

قال الإمام ابن كثير: "وكان فقيهًا بارعًا محدثًا حافظًا، درس وأفتى، وكان شيخ الشافعية هناك، ومحدث الحجاز في زمانه"(٢).

أما مناصبه العلمية:

فقد اشتغل الإمام المحب الطبري بالدعوة إلى الله ـ تعالى ـ بصور متنوعة، فقد عمل في الخطابة، والتدريس، والإفتاء، والقضاء، وإمامة الحرم المكي، كما نص على ذلك العلماء.

ـ حيث كان شيخَ الحرم، كآبائه، وأجداده. وذكر ذلك كثير ممن ترجم له. قال الذهبي: "شَيْخُ الْحَرَمِ وَمُحَدِّثُهُ وَمُفْتِيهِ"(٣).

---

(١) ملء العيبة ٢٣٤.

(٢) طبقات الشافعيين ٩٣٩.

(٣) معجم الشيوخ الكبير للذهبي ١/ ٥١. وراجع: الوافي بالوفيات ٧/ ٩٠، طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٨/ ١٨، سلم الوصول إلى طبقات الفحول ١/ ١٦٠.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ـ وقد تولى التدريسَ في المدرسة المنصورية، عندما رحل إلى اليمن، بطلب من أميرها الملك المظفر يوسف بن عمر الغساني. ورتَّبَ له الأميرُ في كلِّ شهر خمسين دينارًا على التدريس في تلك المدرسة، التي بناها والده[1].

ـ وصدَّر صلاح الدين الصفدي ترجمته في كتابه: "**الوافي بالوفيات**"، بقوله: "القَاضِي محب الدّين الطَّبَرِيّ الشَّافِعِي"[2]. ولا أدري، هل تولى القضاء أم لا؟ لم تذكر لنا كتب التاريخ شيئًا عن ذلك.

ثناء العلماء عليه:

وقد أثنى عليه كثير من العلماء، وشهدوا بفضله وعلمه.

حيث وصفه شيخه ابن مُسْدِيّ بأنه: "الإمامُ الأجلُّ العلم، قطب الشريعة"[3].

وقال محب الدين بن رشيد الفهري: "الشيخ الفقيه المحدث الإمام المصنف العالم العامل، فقيه الحرم الشريف. . . أحد العلماء الفضلاء"[1]. وقال أيضًا: "الإمام العالم مفتي الحرمين عميد الدين"[2].

---

(١) العقد الثمين ٣/ ٦٥.

(٢) الوافي بالوفيات ٧/ ٩٠.

(٣) العقد الثمين ٣/ ٦٥.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال الإمام الذهبي: "الْحَافِظُ الْمُفْتِي، شَيْخُ الْحَرَمِ، مُحِبُّ الدِّينِ أَبُو الْعَبَّاسِ الطَّبَرِيُّ، ثُمَّ الْمَكِّيُّ الشَّافِعِيُّ، مُصَنِّفُ الْأَحْكَامِ الْكُبْرَى، كَانَ عَالِمًا عَامِلًا جَلِيلَ الْقَدْرِ عَارِفًا بِالْآثَارِ، وَمَنْ نَظَرَ فِي أَحْكَامِهِ عَرَفَ مَحَلَّهُ مِنَ الْعِلْمِ وَالْفِقْهِ"(٣).

وقال صلاح الدين العلائي: "ما أخرجت مكة بعد الشافعي، مثل المحب الطبري"(٤).

وقال الإمام اليافي: "شيخ الحرم، الإمام العلامة الحافظ الراوية، ذو التصانيف الكثيرة، والفضائل الشهيرة. . . كان فقيهًا بارعًا محدثًا حافظًا، درس، وأفتى، وأسمع، وروى، وكان محدث الحجاز في زمانه، وشيخ الشافعية هنالك"(٥).

وقال الإمام تاج الدين السبكي: "شيخ الْحرم وحافظ الْحجاز بِلَا مدافعة"(٦).

---

(١) ملء العيبة ٢٣٣.

(٢) ملء العيبة ٢٣٧.

(٣) المعجم المختص بالمحدثين ٢٢.

(٤) العقد الثمين ٣/ ٦٥.

(٥) مرآة الجنان وعبرة اليقظان ٤/ ١٦٨.

(٦) طبقات الشافعية ٨/ ١٨.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال الإمام الإسنوي: "كان عالمًا عاملًا، جليل القدر، عالمًا بالآثار والفقه، وألّف كتابًا في المناسك، وكتابًا نفيسًا في أحاديث الأحكام"(١).

وقال الإمام ابن كثير: "وكان فقيهًا، بارعًا، محدثًا، حافظًا، درّس وأفتى، وكان شيخ الشافعية هناك، ومحدث الحجاز في زمانه، وهو والد قاضي القضاة كمال الدين محمد، وجد القاضي نجم الدين الحاكم بها"(٢).

وذكر الإمام تقي الدين الفاسي مقولة الحافظ العلائي: "ما أخرجت مكة بعد الشافعي مثل المحب الطبري". ثم عقّب بأنها لا تسلم من الاعتراض، ثم قال: ووجدت بخط القطب الحلبي في ترجمة المحب الطبري أنه لم يكن في زمانه مثله. قال: وهذا مما لا ريب فيه(٣).

وقال البدر العيني: "الشيخ الإمام العالم العلامة الحافظ، مفتي بلاد الحجاز في زمانه ... كان شيخ الشافعية، وفقيه الحرم، ومحدث الحجاز، وسمع الكثير وصنف في فنون كثيرة"(٤).

---

(١) طبقات الشافعية للإسنوي ٢/ ٧٢.

(٢) طبقات الشافعيين ٩٣٩.

(٣) العقد الثمين ٣/٦٦.

(٤) عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ٣/ ٢٨٤.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال ابن تغري بردي: "شيخ الحجاز وعالمه، الشيخ محبّ الدين. . . فقيه الحرم بمكة ـ شرفها الله تعالى ـ ومفتيه"(١).

وقال السيوطي: "الإِمَام الْمُحدث فَقِيه الْحرم. . . مُصَنف الْأَحْكَام الْكُبْرَى، وَشَيخ الشَّافِعِيَّة، ومحدث الْحجاز"(٢).

وغير هذا كثير، ويكفيك احتفاء الأئمة بَعْدَهُ بأقواله، واعتناؤهم بها، واعتمادهم لها. وهذا شاف في الدلالة على ما تمتّع به المحب الدين الطبري من سعة علمٍ، وذِكرٍ حَسنٍ، وقبولٍ بين العلماء.

فجزاه الله عن الإسلام وأهله خير الجزاء.

(١) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ٨/ ٧٤.

(٢) طبقات الحفاظ للسيوطي ٥١٤.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

خَامِسًا: مَذْهَبُهُ العَقَدِيّ وَالْفِقْهِيّ:

أولا: مذهبه العقدي:

الأصل أن أهل الحديث، المشتغلين بِسُنَّةِ رسولِ اللهِ ﷺ، سائرون على نمط الاستقامة في العقيدة، متبعون لهدي النبي ﷺ، وأصحابه الكرام. وكيف لا، وهم يعيشون بأنفاس المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ؟! يقومون وينامون على سُنَّتِهِ.

قال أبو عامر النسوي:

أَهْلُ الحَدِيثِ هُمُ آلُ الرَّسُولِ وَإِنْ. . . لَمْ يَصْحَبُوا نَفْسَهُ أَنْفَاسَهُ صَحِبُوا[1].

والإمامُ المحبُّ الطبريُّ أحدُ أئمةِ الحديث وحفاظِه، الذين عاشوا حياتهم مع سنة المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ. ومن ثَمَّ: فهو مستقيم في باب الاعتقاد، سائر على هدي القرون الثلاثة الفاضلة.

يدلنا على ذلك عدة أمور:

الأول: أنَّ أصحاب التراجم إذا سكتوا عن بيان المذهب الاعتقادي للمُتَرْجَمِ له. . دلَّ على أنه مستقيم العقيدة، كسائر أهل السنة والجماعة.

---

(١) اللطائف من دقائق المعارف/ ٤٤.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وكل من ترجم للمحب الطبري ـ رحمه الله ـ لم يتعرض لمذهبه في العقيدة(١)، مما يدل على استقامته.

الثاني: من خلال النظر في كتبه، يتبين أن الإمام المحب الطبري كان شيخا لأهل السنة والجماعة، فهو إمام الحرم، وقاضي مكة، وفقيه الحجاز، وشيخ الشافعية في عصره، وكلامه في كتابه، وتصرفه في النصوص النبوية، سيما التي تتعلق بباب الاعتقاد من أوضح الأدلة على ذلك.

فهو في باب الاستدلال: يقدم النقل الصحيح، ويتعامل معه بعقل مستقيم، نائيا عن المناهج المنحرفة، التي ترد صحيح المنقول، بظواهر المعقول.

وهذا واضح في كتابه، وأذكر نموذجين من خلال القدر الذي فيه مجال دراستي.

النموذج الأول: في "ذكر عذاب القبر": سرد الأحاديث المثبِتَةَ له، وكأنه يلمح إلى الردِّ على بعض أهل الانحراف الذين نفوا عذاب القبر. ثم يتعقب شبههم، مُصَدِّرًا إيَّاها بقوله: "إِنَّهُ ـ أَيْ: عَذَابَ القَبْرِ ـ جَارٍ عَلَى الجَسَدِ المَخْلُوقِ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ، إِلَى

---

(١) بنظرة عَجْلَى في المصادر التي ترجمت له يتضح هذا بجلاء. وقد سبق بيانها في أول الدراسة.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أَنْ يَجْرِيَ عَلَيْهِ المَوْتُ، ثُمَّ يَحْيَا فِي قَبْرِهِ، وَيُعَادُ كَمَا كَانَ فِي الدُّنْيَا لِلْمُسَاءَلَةِ، وَلِنَيلِ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، خِلَافًا لِمَنْ أَلْحَدَ وَخَالَفَ فِي ذَلِكَ، وَقَالَ: العَذَابُ وَالنَّعِيمُ إِنَّمَا هُوَ لِلْأَرْوَاحِ دُونَ الْأَجْسَادِ"[1].

ثم أتى على شبهاتهم من القواعد، وختم بقوله: "وَالَّذِي يَجِبُ المَصِيرُ إِلَيْهِ: أَنَّهُ لَا يَجُوزُ اعْتِقَادُ مَا ذَهَبُوا إِلَيْهِ، مِنْ مَنْعِ جَرَيَانِهِمَا ـ أَيِ: الثَّوَابِ وَالعِقَابِ ـ عَلَى الْأَجْسَادِ، وَلَا مَنْعِ تَعْذِيبِ الْأَرْوَاحِ، وَتَنْعِمِهَا مُسْتَقِلَّةً عَنْ أَجْسَادِهَا، بَلْ نَقُولُ: الْأَمْرَانِ جَائِزَانِ. أَمَّا فِي الِابْتِدَاءِ: فَقَدْ دَلَّتْ الْأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ عَلَى إِعَادَةِ الرُّوحِ إِلَى الجَسَدِ لِلْمُسَاءَلَةِ، وَلِمَا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ مِنَ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، عَلَى مَا تَضَمَّنَتْهُ الْأَحَادِيثُ المُتَقَدِّمَةُ، المُتَضَمِّنَةُ تَوْسِيعَ القَبْرِ وَتَضْيِيقَهُ، وَفَتْحَ بَابٍ إِلَى الجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ"[2].

النموذج الثاني: في "ذِكْرُ اخْتِيَارِ المَقْبَرَةِ": تناول حديث فقيءِ موسى عينَ ملك الموت، ثم تتبع شبهات أهل الانحراف، الذين قدموا عقولهم الضحلة على صحيح المنقول. فقال: "وَقَدِ اعْتَرَضَ بَعْضُ

---

(١) غاية الإحكام في أحاديث الأحكام، ذكر عذاب القبر، من الحديث (٧٠٠٩، إلى ٧٠١٤). ٤/ ٢٣، في المطبوع.

(٢) غاية الإحكام في أحاديث الأحكام، ذكر عذاب القبر ٤/ ٢٣، من الحديث: ٧٠٠٩، إلى: ٧٠١٤.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الْمُلْحِدِينَ عَلَى هَذَا الحَدِيثِ بِأَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ"، فذكرها، ثم أتى عليهن جميعا من القواعد، واجتثَّها، منتصرا لصحيح المنقول، مناقشا له بعقل العالم المتبحر(١).

وفي باب السمعيات: يقرر مذهب أهل السنة والجماعة، في الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وما فيه من الجنة والنار والحساب والجزاء والشفاعة والصراط والحوض ورؤية الله ـ تعالى ـ وغير ذلك من سائر الأمور الغيبية، المأخوذة بطريق السمع(٢).

وفي باب الصحابة وآل البيت: قد صنف ثلاثة كتب، وهي: "الرياض النضرة في مناقب العشرة"(٣)، و"ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى"(٤)، و"السمط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين"(٥).

وتحدث في: "كتاب الإمامة والإمارة والأقضية" من كتاب: "**غاية**

---

(١) غاية الإحكام في أحاديث الأحكام، ذِكْرُ اخْتِيَارِ المَقْبَرَةِ ٤/ ٣١، تحت الحديث رقم: ٧٠٣٩.

(٢) غاية الإحكام ١/ ٤١، ٢٨٢، ٢٧٦، ٣٠٩ ـ ٣٥٩.

(٣) طبعته دار المعرفة، بيروت، اعتناء: عبد المجيد طعيمة حلبي. وذكر فيه ٢٠٠٤ رواية.

(٤) تحقيق أكرم البوشي، ومحمود الأرناؤوط، وهو مجلد في ٥٣١ صفحة.

(٥) طبعتة: المكتبة التجارية، مكة المكرمة، في ٢٤٢ صفحة.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الإحكام". عن خلافة أبي بكر، وأن الخلافة بعده لعمر ثم لعثمان ثم لعلي ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ[1].

وفي باب القضاء والقدر سَائرٌ على مذهب أهل الحديث، فيقول بعد ذكره حديث جبريل: "واعلم أن من لم يتشرع من الفلاسفة ينفي القدر جملة، والمعتزلة ينفونه في الشر والمعاصي، وأهل السنة يثبتونه مطلقًا عامًا، ولذلك حكى الإمام المازَرِي عن المعتزلة ما تقدمت حكايته عنهم، قال: وأما قول ابن يَعْمَر: «ويزعمون أن لا قدر»، فلا يقول به المعتزلة على الاطلاق، وإنما يقولون: الشر والمعاصي تكون بغير قدر الله، لكن من لم يتشرع من الفلاسفة ينفي القدر جملة، وحكى أبو محمد بن أبي زيد في رده على بعض المعتزلة، وحكاه أيضًا غيره من العلماء - يعني المعتزلة - يقولون: إن أفعال العباد لا يعلمها الله تعالى حتى تكون، وأن العلم بها محدثٌ، واحتجّوا بأن الله تعالى لو كان عالمًا بتكذيب من كذب من الكفار لما أرسل إليهم؛ لأنه يكون بذلك عابثًا، تعالى الله عن ذلك" ثم قال: "قلت: والفائدة في إرسال الرسل مع العلم بتكذيبهم: إقامة الحجة عليهم، وإعذارٌ وإنذارٌ، وقد يأمر السيد عبدَه بأمر وهو يعلم أنه لا يفعلُه؛ لتقوم الحجةُ عليه، ويبلغَ العذر في عقوبته.

---

(١) غاية الإحكام ٦/ ٥٤٣.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وهذا القول الذي حُكي عن المعتزلة أن علمَ الله بفعل العبد محدثٌ، وأنه لا يعلمُه حتى يوجد؛ جنوحٌ إلى مذهب الفلاسفة في أن الله لا يتعلق علمُه بالجزئيات، أعاذنا الله من ذلك وتعالى الله عنه علواً كبيراً"(١).

وفي باب صفات الله ـ سبحانه وتعالى ـ سائر على منهج القرون الثلاثة الفاضلة. ويظهر ذلك في مواضع كثيرة. منها: تعليقُه على حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنه ـ أنه سمع رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: «**إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، كَقَلْبٍ واحِدٍ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ**» ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ ﷺ ـ: «**اللهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا على طَاعَتِكَ**»(٢) وذكر بعده عدة أحاديث، ثم قال: "قوله: «**بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ**» وكذلك ما جاء في الكتاب العزيز والسنة من المتشابه، كالنفس، والوجه، والعين، واليد، والرجل، واليمين، والقبضة، والإتيان، والمجيء، والنزول إلى السماء الدنيا، والاستواء على العرش، والضحك، والفرح ... فهذه كلها صفات لله ـ تعالى ـ ورد بها السمع، يجب

---

(١) غاية الإحكام ١/ ١٣، ١٤.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب تصريف الله تعالى القلوب كيف يشاء ٤/٢٠٤٥ برقم ٢٦٥٤.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الإيمان بها، وإمرارها على ما جاءت من غير تأويلٍ، ولا تشبيهٍ، ولا تجسيمٍ، مع اعتقاد التمجيد والتنزيه. لا تشبه ذاتُه ذاتَ الخلق، ولا صفاتُه صفاتِهم، قال تعالى: **(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)** [الشورى: ١١]، وعلى هذا سلف الأمة وعلماء السنة، وبه قال الفقهاء: مالك، والشافعي، وأحمد، والثوري، وابن عُيينة، والبخاري، وابن المبارك، وجميع المحدثين، وكلهم تلقوا ذلك جميعًا بالإيمان والقبول، وتجنبوا فيها التمثيل والتأويل، ووكلوا العلم فيها إلى الله ـ جَلَّ وعلا ـ كما أخبر ـ سبحانه وتعالى ـ عن الراسخين في العلم: **(يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا)** [آل عمران: ٧] وسأل رجل الإمام مالكًا عن قوله تعالى: **(الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى)** [طه: ٥] فقال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا ضالًا، وأمر به أن يخرج من المجلس. وقال الوليد بن مسلم: سألت الأوزاعي وابن عيينة ومالكًا عن أحاديث الصفات، فقالوا: أقروها كما جاءت بلا كيف، والله أعلم، ولا يقال إن إثباتها تشبيهٌ، كما قالت الجهمية؛ لأنا نقول: التشبيه أن يقال سَمعَ بسمعٍ، ونحو ذلك. والله أعلم[1].

---

(١) غاية الإحكام: كتاب الإيمان، ذكر تقليب القلوب ١/ ٨٥ الأحاديث رقم: ١٩٣، إلى: ٢٠٥.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وكذا في كل أبواب العقيدة، هو سائر على منهج القرون الثلاثة الفاضلة، كما يظهر من صنيعه في سرد الأحاديث المتعلقة بالأحكام العقدية، والتعليق عليها. والله أعلم.

ثانيا: مذهبه الفقهي:

وأما مذهبه الفقهيّ: فقد أجمع مترجموه على أنه شافعي المذهب. وترجم له تاج الدين السبكي في «طبقات الشافعية الكبرى»[(١)]، والإسنوي في: «طبقات الشافعية»[(٢)]، وابن كثير في «طبقات الشافعيين»[(٣)]، وابن قاضي شهبة في: «طبقات الشافعية»[(٤)].

وقد تولى تدريس المذهب الشافعي في المدرسة المنصورية باليمن، بأمر من سلطانه، كما سبق.

قال ابن رشيد الفهري: "قرأت بخط المحدث الرحال، أبي إسحاق البلفيقي ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ ما نصه: صاحبنا محب الدين أبو العباس أحمد

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى ٨/ ١٨.

(٢) طبقات الشافعية للإسنوي ٢/ ٧٢.

(٣) طبقات الشافعيين ٩٣٩.

(٤) طبقات الشافعية لابن قاضى شهبة ٢/ ١٦٢.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بن عبد الله المكي الطبري، مدرس بالمدرسة الشافعية عاكف على مذهب الشافعي"[1].

وشرح التنبيه للإمام أبي إسحاق الشيرازي، شرحا كبيرا[2].

وقد نقل كلامَه السادةُ أئمة المذهب الشافعي بعده، محتفين به، ناشرين علمه، محررين اختياراته[3].

والحق أن الإمام محب الدين الطبري؛ وإن كان إمام الشافعية في عصره، إلا أنه كان من الأئمة المجتهدين، غير مقلد لمذهب بذاته، وإن نسبه بعض من ترجم له إلى المذهب الشافعي؛

---

(١) ملء العيبة / ٢٤٩.

(٢) المنهل الصافي ٣٤٨/١، كشف الظنون ١/ ٤٨٩.

(٣) وراجع على سبيل المثال: "الهداية إلى أوهام الكفاية" للإمام عبد الرحيم بن الحسن بن علي الإسنوي الشافعيّ، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٧٧٢هـ)، و"النجم الوهاج في شرح المنهاج" للإمام كمال الدين، محمد بن موسى بن عيسى بن علي الدَّمِيري أبو البقاء الشافعي (المتوفى: ٨٠٨هـ)، و"كفاية الأخيار في حل غاية الاختصار"، للإمام أبي بكر بن محمد بن عبد المؤمن بن حريز بن معلى الحسيني الحصني، تقي الدين الشافعي (المتوفى: ٨٢٩هـ)، و"أسنى المطالب في شرح روض الطالب" و"الغرر البهية في شرح البهجة الوردية"، كلاهما للإمام زكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي (المتوفى: ٩٢٦هـ) وقد أكثر عنه في الكتابين.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فإن ذلك يعني أنه متبع للآثار، كما كان الشافعي كذلك، وهذا ديدن أهل الحديث في كل عصر ومصر؛ لذلك انتقده الإمام اليافي الشافعي في بعض اختياراته التي خالف بها السادة الشافعية. فقال عن شرحه للتنبيه: "جيد، إلا أنه ربما يختار الوجوه الضعيفة"[1]. ولعله يقصد: الضعيف في المذهب. والله أعلم.

❁ ❁ ❁

(١) مرآة الجنان ٤/ ١٦٨.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

سَادِسًا: آثَارُهُ العِلْمِيَّةِ.

روى الإمام مسلم في صحيحه، عن أبي هريرة، أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: "إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ"(١)

وكعادَةِ العُلَمَاء الرَّبَّانِيِّين، الذين أخلصوا علمهم وعملهم لله ـ عز وجل ـ يبارك لهم المولى الكريم، فيجعل لهم لسان صدق فيمن بعدهم؛ بما خلَّفوه.

والآثار التي يخلفها العالم بعد موته، إما أن تكون تراثًا مكتوبًا، ككتاب له بثَّ فيه علمَه، أو طالبًا استفاد منه وأفاد غيره. وقليلون الذين يُرزقون بأولادٍ يسيرون على دربهم العلمي، يستفيدون ويُفيدون غَيْرَهُم. وقد خلَّف المحب الطبري ـ رحمه الله ـ الثلاثة.

فأما أولاده:

فقد ذكرهم نجم الدين ابن فهد، في كتابه: "**الدر الكمين**"، وذكر شيئا من سيرتهم. وعددهم: سبعة. (القاضي كمال الدين محمد(٢)،

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته ٣/ ١٢٥٥، برقم ١٦٣١.

(٢) ترجمته في تاريخ الإسلام ١٥/ ٧٩٤، وطبقات الشافعية ٢/ ١٦٣.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والخطيب تقي الدين أحمد[1]، وزينب[2]) وأم الثلاثة ابنة عم والد المحب الطبري، واسمها: مريم بنت علي بن أبي بكر الطبري (ت: ٦٧١هـ).

و(فاطمة أم الحسن[3]، وفاطمة الثانية[4]، ومريم[5]، وأم عبد اللطيف[6]). وأم الأربعة: أم الخير ابنة قطب الدين القسطلاني[7]. وكلهم رجالًا ونساءً كانوا بيوت علم وشرف، وخلَّفوا آثارا عظيمة، من أولاد وتلاميذ، ومؤلفات.

---

(١) ترجمته في العقد الثمين ٥/ ٩٩، و

(٢) ترجمتها في الدر الكمين ٣/ ١٤٣٣.

(٣) ترجمتها في الدر الكمين ٣/ ١٤٩٩.

(٤) لم أقف على ترجمتها. لكن ذكر تقي الدين ابن فهد الهاشمي في: "لحظ الألحاظ" أن ممن سمع الحديث وأسمعه في تلك الأسرة: الأختان الأصيلتان أم الحسن فاطمة، وأم محمد علماء، ابنتي الإمام أبي اليمن محمد بن أحمد بن إبراهيم الطبري، مجتمعتين بمنزلهما بالسويقة، بمكة قالوا: أخبرتنا الأختان **الفاطمتان أم الحسن وأم الحسين، ابنتا الإمام أحمد بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الطبري مجتمعتين** بمنزلهما بالسويقة. **لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ/٧٠.**

(٥) ترجمتها في الدر الكمين ٣/ ١٥٤٢.

(٦) ترجمتها في الدر الكمين ٣/ ١٥٩٨.

(٧) الدر الكمين ٣/ ١٤٣٣، ١٤٩٩، ١٥٤٣، ١٥٤٤، ١٥٩٨.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قال عبد الله بن سعيد: "رسخت أصولهم في «طبرستان» من بلاد العجم في الشرق، وامتدت فروعهم إلى أمّ القرى في بلاد الحجاز، وتوارث هو وبنو أعمامه وأبناؤهم وأحفادهم مناصب التدريس والقضاء، والخطابة وإمامة الحرم المكي نحو ستة قرون وكانوا أكثر أصحاب البيوتات بمكّة، حتّى كان الأشراف حكّام مكّة لا يعدلون بهم أحدا في الشرف والصهر والنّسب، وكان نساء هذه الأسرة يبارين فحول الرجال في رفع منار العلم، والاستباق إلى غايات المجد"(١).

وقد انقرض أولاده بعد ذلك، وصارت الإمامة بمقام الخليل في أقاربه، ويكفيهم لسان الصدق الذي جعله الله ـ عز وجل ـ لهم(٢).

وأما تلامذته:

فدوحة علميَّة كالمحب الطبري، من دوحات أسرته الحسينية، جلس للإفادة قرابة نصف قرن من الزمن، مع سعة علمه. . لا بد أن له طلابًا كبارًا، حرص هو على أن يكونوا أفضل منه خُلُقًا وعلمًا.

---

(١) منتهى السؤل على وسائل الوصول إلى شمائل الرسول ٢/ ٦٠٣.

(٢) القول المؤتلف/ ٢٢.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وحصرهم متعذِّرٌ. لكن أذكر بعض تلاميذه الذين أفادوا منه، ونشروا علمه، عدا أولاده السبعة، فقد سبق ذكرُهم، وبيانُ مصادر ترجمتهم(١).

١ـ **نجم الدين ابن الخباز:** أبو الفداء إسماعيل بن إبراهيم بن سالم بن بركات الأنصاري المعروف بابن الخبّاز، ولد سنة تسع وعشرين وستمائة، وسمع من: الحافظ ضياء الدين، وعبد الحق بن خلف، والمحب الطبري. و سمع وكتب ما لا يوصف، وكان حسن الأخلاق متواضعًا غير متقن فيما يجمعه، وسمع منه خلق من الحفاظ منهم: المِزّيّ والذهبيّ، توفى يوم الثلاثاء حادي عشر صفر سنة ثلاث وسبعمائة(٢).

٢ـ **قطب الدين الحلبي:** عبد الكريم بن عبد النور بن منير الحلبي، الحافظ المتقن المقرئ المجيد، أبو علي الحلبي ثم المصري. صنّف وخرّج وأفاد، وعمل تاريخًا لمصر بيّض بعضه، وشرح السيرة للحافظ عبد الغني في مجلدين، وشرح أكثر صحيح البخاري، وغير ذلك. قال الذهبي: جمع وخرج وألَّف تآليف متقنة مع التواضع والدين

(١) أذكرهم مُرَتَّبِينَ ترتيبًا معجميًا.

(٢) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ١/ ٤٣١، شذرات الذهب ٨/ ٠١٦.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والسكينة وملازمة العلم والمطالعة ومعرفة الرجال ونقد الحديث، سمعت منه بمصر ومكة، توفى في رجب سنة خمس وثلاثين وسبعمائة[1].

٣- **شرف الدين الدِّمْيَاطيّ** عبد المؤمن بن خلف بن أبى الحسن بن شرف الإمام العالم الحافظ البارع النسّابة المجود الحُجة علم المحدثين عمدة النقاد، أبو محمد وأبو أحمد الدِّمْيَاطيّ الشافعي صاحب التصانيف، كانت نشأته بدمياط، وتميز في مذهب الشافعي، وقرأ القرآن وطلب الحديث، وكتب العالي والنازل، وصنف وحدث وأملى في حياة كبار مشايخه، وكان مليح الهيئة حسن الأخلاق بسَّامًا فصيحًا نحويًا لغويًا مقرئًا، سريع القراءة، جيد العبارة، صاحب مصنفات كثيرة[2].

٤ـ **فخر الدين المكي:** عثمان بن الصفي أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن محمد بن إبراهيم الطبري فخر الدين أبو محمد المكي، ابن

---

(١) ذيل تذكرة الحفاظ لشمس الدين الحسيني/ ٧، الدرر الكامنة ٣/ ١٩٨، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ١/ ٣٥٨.

(٢) الوافي بالوفيات ١٩/ ١٥٩، فوات الوفيات ٢/ ٤٠٩، طبقات الشافعية للسبكي ١٠/ ١٠٢، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ١/ ٣٥٧، تذكرة الحفاظ ٤/ ١٧٩.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عمه. سمع على المحب الطبري كتاب سنن أبي داود، خلا من: باب صلاة العيدين، إلى: باب من قال يصلى بكل طائفة ركعتين، فأجازه. **وهو آخر من سمع ذلك عليه.** ومات في سنة تسع وأربعين وسبعمائة بمكة[1].

٥ـ أبو الحسن العطار عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ دَاوُدَ بْنِ سُلَيْمَانَ، الإمام الفقيه المفتي المحدث بَقِيَّةُ السَّلَفِ علاء الدين أبو الحسن العَطَّار الدِّمَشْقِيُّ الشافعي، شيخ دار الحديث النورية ومدرس القوصية بالجامع، تفقه على الشيخ محيي الدين النَوَاوِيّ، وسمع وكتب الكثير وحدث ودرس وأفتى، وصنف أشياء مفيدة، وتوفي في ذي الحجة سنة أربع وعشرين وسبعمائة[2].

٦ـ علم الدين البرزالي: القاسم بن محمد بن يوسف البِرْزَالِيُّ[3] الإِشْبِيلِيّ ثم الدِّمَشْقِيّ الشافعيّ الحافظ المحدث المتقن الإمام مؤرخ الشام. كان محدثًا حافظًا فاضلًا، سمع الكثير، ورحل إلى البلاد، وحصَّل ودأب وسمع خلائق كثيرة، تزيد عدتهم على أَلفي شيخ، وحدّث

---

(١) ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد ٢/ ١٦٦.

(٢) المعجم المختص بالمحدثين ١/ ١٥٦، البداية والنهاية ١٤/ ١٣٤.

(٣) نسبة إلى قبيلة في المغرب تسمى: بِرزالة. لب اللباب للسيوطي/ ٣٤.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وخرَّج وأفاد وأفتى وصنّف تاريخًا على السنين، وتوفي مُحرِمًا في ذي الحجة سنة تسع وثلاثين وسبعمائة[1].

٧ـ **قطب الدين القسطلاني:** محمد بن أحمد بن علي بن محمد بن الحسن بن عبد الله بن أحمد بن ميمون بن راشد الإمام الزاهد قطب الدين أبو بكر بن أبي العباس المكي الشافعي القَسْطلانيّ. قرأ الفقه والتفسير والخلاف وأنواع العلوم على شيخ الحرم: نجم الدين بشير بن حامد التِبْرِيزيّ، ودَرَّسَ بمدرسة دار زبيدة بالحرم، وأفتى في سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة، وحدث بكثير من مسموعاته وببعض تآليفه، وقد تزوج المحبُّ الطبريُّ ابنتَه: أمَّ الخير، وأنجب منها: الفاطمتان، ومريم، وأم عبد اللطيف، وكلهن عالمات[2]. وتوفي ليلة السبت الثامن والعشرين من المحرم سنة ست وثمانين وستمائة[3].

٨ـ **حفيده نجم الدين:** أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن محمد إبراهيم، قاضي مكة ومفتيها نجم الدين أبو حامد بن القاضي جمال الدين ابن الشيخ محب الدين الطبري، كان شيخًا فاضلًا فقيهًا مشهورًا بمعرفة الفقه، وسمع على جده المحب سنن

---

(١) المعجم المختص بالمحدثين ١/ ٧٧، النجوم الزاهرة ٩/ ٣١٩.

(٢) وقد سبق ذكرهن. وراجع: الدر الكمين ٣/ ١٤٩٩.

(٣) العقد الثمين ١/ ٣٢١-٣٣٠.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أبى داود، وتفقه عليه ودرس وأفتى مدة، وولى القضاء بعد أبيه مدة تزيد على خمسة وثلاثين عاماً حتى مات، توفى يوم الجمعة ثاني جمادى الآخرة سنة ثلاثين وسبعمائة[1].

٩ـ أبو حيان النحوي: محمد بن يوسف بن علي بن يوسف الغرْنَاطِيّ الأَنْدَلُسِيّ أثير الدّين أبو حَيَّان النَّحْويّ المقرئ نزيل القاهرة. سمع على الْعِزّ الْحَرَّانِيّ: صحيح البخاري، وعلى محمد بن إسماعيل الأُنْمَاطِيّ: صحيح مسلم، وعلى عبد الرحيم بن خطيب سنن أبى داوود وكان ثبتًا، قيّمًا، عارفًا باللغة، والنحو، والتصريف، وله اليد الطُّولى في التفسير والحديث، توفي سنة خمس وأربعين وسبعمائة بالقاهرة[2].

١٠ـ الملك المظفر: يُوسُف بْن عُمَر بْن عليّ بْن رسول، السّلطان الملك المظفَّر، شمس الدِّين. وَلَدُ السّلطان الملك المنصور نور الدِّين، صاحب اليمن. بقي فِي المُلْك سبعًا وأربعين سنة وأشهرًا. وتُوُفّيّ فِي رجب، وقد نيّف على الثمانين. وكان ملكًا هُمامًا، سمحًا، جوادًا، عفيفًا عن أموال الرعيّة، كافًّا لجُنْده عن الأذيّة. وكان مقصدًا للوافدين، موئلًا للقاصدين. له مسموعات من مشايخ اليمن بنزول.

---

(١) ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد ١/ ٢١٢.

(٢) ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد ١/ ٢٨٣، النجوم الزاهرة ١٠/ ١١١.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقد حجّ سنة تسعٍ وخمسين. وهو الذي طلب من المحب الطبري الوفود عليه؛ ليسمع منه، فوفد عليه الإمام، وأكرمه الملك غاية الإكرام، توفي سنة أربع وتسعين وستمائة[1].

ـ وقد أجاز المحبُّ الطبري ـ رحمه الله ـ بعضَ الطلاب إجازة بالمكاتبة. منهم: ابن رشيد الفهري، وابنه، والذهبي، وغيرهم. قال ابن رشيد الفهري: "وممن لقيت بمكة زادها الله شرفا: الشيخ الفقيه المحدث الإمام المصنف العالم العامل فقيه الحرم الشريف، محب الدين أبو العباس وأبو محمد، أحمد بن عبد الله بن مُحَمَّدِ بْنِ أبي بكر الطبري المكي ـ رضي الله عنه، ونفع به وبأمثاله ـ وهو أحد العلماء الفضلاء، لقيته بالحرم الشريف، وطلبت منه السماع والإجازة فوعدني في غالب ظني، وضاق الوقت عن ذلك، وأجاز لي بخطه، باستدعاء رفيقي الوزير الكاتب البليغ، أبي عبد الله ـ تولى الله شكره، ويسر أمره ـ جميعَ ما رواه وألفه، على العموم ولابني أبي القاسم ـ أسعده الله ـ ولجماعة من الأصحاب"[2].

---

(١) تاريخ الإسلام ١٥/ ٧٩٩، الوافي بالوفيات ٢٩/ ١١٦، مجمع الآداب في معجم الألقاب ٥/ ٢٢٦.

(٢) ملء العيبة ٢٣٣.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال الذهبي: "وَكَتَبَ إِلَيَّ مَرْوِيَّاتِهِ، فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ وسِتِّ مِائَةٍ"(١)

وغير هؤلاء كثير جدًّا، ممن سمع عليه داخل مكة، من أهلها والوافدين عليها، وخارجها من أهل اليمن والمدينة المنورة وغيرهن من البلدان. والله أعلم.

وأما تراثه المكتوب: فيشمل كتبَه التي أَلَّفَهَا، وأشعارَهُ الَّتِي نظمَهَا، وآرَاءَهُ الفقهيَّةَ واختياراتِه الَّتِي نقلها طلابه عنه، ولم تُنقَل في كتبه.

فأما مؤلفاته(٢): فقد ترك لنا الإمام المحبُّ الطبري ثروة كبيرة من المؤلفات العلمية النافعة، ما بين مطبوع ومخطوط، في فنون متعددة،

---

(١) المعجم المختص بالمحدثين ٢٢.

(٢) راجع لمعرفة مؤلفاته: العقد الثمين ٣/ ٦٣، المنهل الصافي ١/ ٣٤٧، طبقات الشافعية للسبكي ٨/ ١٩، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٢/ ١٦٣، مرآة الجنان ٤/ ١٦٨، عقد الجمان ٣/ ٢٨٤، ملء العيبة/ ٢٣٥، كشف الظنون ٢/ ١٦١٣، هدية العارفين ١/ ١٠١، الرسالة المستطرفة/ ١٠٨، خزانة التراث ـ فهرس مخطوطات ٧٢/ ٨٤٧، تاريخ الأدب العربي، للمستشرق الألماني كارل بروكلمان ٦/ ٢٢٠، مقدمة تحقيق الرياض النضرة ١/٥٢، مقدمة تحقيق القِرى لقاصد أم القرى/ ١٧، المحب لدين الله وأثره في الحياة العلمية في عصره/ ٩١، الإمام المحب الطبري وجهوده في علم

www.alukah.net
شبكة الألوكة

كالحديث والفقه والتفسير واللغة وغير ذلك، مما يدل على أنه كان عالما موسوعيا.

وأوسع من فصَّل في ذكر مؤلفات المحب الطبري: تقي الدين الفاسي في كتابه: "العقد الثمين"، وابن تغري بردي في: "المنهل الصافي".

قال الإمام اليافعي: "ذو التصانيف الكثيرة، والفضائل الشهيرة، وصنّف كتبًا عديدة في الحديث، وله في الفقه مبسوطات ومختصرات، ومن المبسوطات كتاب في الأحكام في عدة مجلدات، أجاد فيه وأفاد وأكثر وأطنب"[(١)].

وقال الإمام السبكي: "وصنّف التصانيف الجيدة"[(٢)].

وها أنا أسردها مرتبة على حروف المعجم، تحت مجموعتين، **الأولى**: المؤلفات المطبوعة. **الثانية**: المؤلفات المخطوطة.

أولا: المؤلفات المطبوعة[(٣)]:

١ـ التشويق إلى البيت العتيق[(١)].

الحديث/٦٠. وأكتفي بذكرها هنا، من غير إعادة تحت كل مؤلَّفٍ من مؤلفاته.

(١) مرآة الجنان ١٦٨/٤.

(٢) طبقات الشافعية الكبرى ١٩/٨.

(٣) أذكر ما وقفت عليه مرتَّبًا ترتيبًا معجميًّا.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٢ـ حجة المصطفى[٢].
٣ـ خلاصة سيرة سيد البشر ـ صلى الله عليه وسلم ـ[٣].
٤ـ ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى[٤].
٥ـ الرياض النضرة في فضائل العشرة[٥].
٦ـ السمط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين[١].

---

(١) مطبوع في دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨، الطبعة الأولى، تحقيق أبي عبد الله محمد حسن محمد حسن إسماعيل.

(٢) مطبوع في مكتبة الثقافة ـ المدينة المنورة، ودار الكتب العلمية ـ بيروت، علق عليه: رضوان محمد رضوان.

(٣) مطبوع في دائرة لمعارف العثمانية، بحيدر آباد الدكن ـ الهند، تحقيق: الدكتور محمد عبد الغفار خان، وكانت أطروحة نال بها درجة العالمية الدكتوراه من الجامعة العثمانية.

(٤) مطبوع في القاهرة، واعتنى بنشره حسام الدين القدسي سنة ١٣٥٦هـ ـ ١٩٣٧م.

(٥) مطبوع أكثر من مرة، وقد طبع بالقاهرة سنة ١٣٢٧هـ ـ ١٩٠٦م. في مجلدين، ثم أعيد طبعه في أربعة مجلدات بتحقيق: محمد مصطفى أبو العلا سنة ١٣٩١هـ ـ ١٩٧٠م ثم طبع بتحقيق عيسى بن عبد الله الحميري-دار الغرب الإسلامي-الطبعة الأولى ١٩٩٦م.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٧ـ غاية الإحكام في أحاديث الأحكام ويسمى: الأحكام الكبرى[٢].

٨ـ القِرَى لقاصد أم القرى[٣].

٩ ـ صفوة القرى في صفة حجة المصطفى وطوافه بأم القرى[٤].

ثانيا: المؤلفات المخطوطة[٥]:

١ـ أحاديث مشكلة[٦].

٢ـ الأحكام الصغرى[٧].

---

(١) مطبوع، وقام بنشره راغب الطباخ في حلب سنة ١٩٢٨م وطبعته دار الحديث بالقاهرة بتحقيق: محمد على قطب.

(٢) مطبوع بدار الكتب العلمية- بيروت، تحقيق د/ حمزة الزين في سبعة مجلدات، الطبعة الأولى ٢٠٠٤م، وسقط منها المجلد الخامس من المطبوع كاملا.

(٣) مطبوع بدار الكتب العلمية- بيروت، تحقيق مصطفى السقا.

(٤) طبع بعناية/ بسام عبد الوهاب الجابي، طبعة: دار ابن حزم ٢٠١٠م.

(٥) أذكر ما وقفت عليه مرتَّبًا ترتيبًا معجميًّا.

(٦) ذكر بروكلمان أنه توجد نسخة منه في مكتبة المدينة المنورة بالمملكة العربية السعودية وهى تحت رقم (٥١).

(٧) مختصر لكتاب الأحكام الوسطى، ويتضمن ألف حديث وخمسة عشر حديثا.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٣ـ الأحكام الوسطى[١].
٤ـ الأربعينات.
٥ـ الأربعين في الحج.
٦ـ الإعلام بمرويات المشيخة الأعلام من سَكَنَةِ بيت الله الحرام.
٧ـ استقصاء البيان في مسألة الشادَرْوَان[٢].
٨ـ تحرير التنبيه لكل طالبٍ نبيه[٣].
٩ـ ترتيب جامع المسانيد والألقاب لابن الجوزي.
١٠ـ ترتيب غريب القرآن للسجستاني على السور[٤].
١١ـ التعريف بمشيخة الحرم الشريف.

---

(١) وهو مختصر لكتاب غاية الإحكام وهو الأحكام الكبرى، ويقع في مجلد كبير.

(٢) الشَادَرْوَان: بفتح الدال وسكون الراء، وينطق: الشَاذَرْوَان، بالدال المهملة وهو: ما ترك من عرض أساس الكعبة المشرفة خارجًا، وشاذروان الكعبة: جزء منه، نقصته قريش من أصل البناء حين بنوها، وَهُوَ ظَاهر فِي جَوَانِب الْبَيْت لَكِن لَا يظْهر عِنْد الْحجر الْأسود. **راجع: تحرير ألفاظ التنبيه ١٥٣، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ١/ ٣٠٧، تاج العروس ١٠/ ٣٩٢.**

(٣) وهو مختصر التنبيه الأصغر.

(٤) يقع في مجلد.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

١٢ـ تفسير جامع[١].
١٣ـ تقريب المرام في غريب القاسم بن سلام.
١٤ـ خيرُ القِرى في زيارة أم القرى.
١٥ـ الدرر الثمينة في مدحه ـ صلى الله عليه وسلم ـ.
١٦ـ الدر المنثور للملك المنصور[٢].
١٧ـ شجرة أسانيد سنن أبي داود.
١٨ـ شرح التنبيه في فقه الشافعية[٣].
١٩ـ صفة حج النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ على اختلاف طرقها وطبقاتها.
٢١ـ الطراز المُذهب المُحبَّر في تلخيص المذهب للملك المظفر[٤].
٢٢ـ العقود الدرية والمشيخة المكية المظفرية.
٢٣ـ العمدة وهو مختصر كتاب المحرر للملك المظفر.
٢٤ـ عواطف النصرة في تفضيل الطواف على العمرة[١].

---

(١) لم يتم ولم يطبع منه القدر الذي كتبه.
(٢) يتضمن ترتيب غريب القاسم بن سلام.
(٣) يقع في عشرة أسفار كبار.
(٤) ذكر أن هذا الكتاب لم ينقح ولم يخرج من مسودته، ولم يؤلف هذا الكتاب إلا بأمر الملك المظفر.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٢٥ـ غاية بغية الناسك في أحكام المناسك[٢].
٢٦ـ غريب جامع الأصول[٣].
٢٧ـ الغناء وتحريمه.
٢٨ـ الفوائد العوالي الصحاح الموافقات للشيوخ الثقات[٤].
٢٩ـ القبس الأسنى في كشف الغريب والمعنى[٥].
٣٠ـ قصيدة صوفية[٦].
٣١ـ الكافي في غريب القرآن الجامع بين العزيزي والبيان[٧].
٣٢ـ كتاب في الحديث، على ترتيب جامع المسانيد.

---

(١) توجد نسخة منه في المكتبة المركزية- الرياض بالمملكة العربية السعودية وهى تحت رقم(١/ ٣١٤ مجاميع)، ونسخة في مكتبة برنستون بالولايات المتحدة الأمريكية، وهى تحت رقم(٢٢٧٥).
(٢) توجد نسخة منه بالمكتبة المحمودية، بالمدينة المنورة، برقم ٢/ ٢٨٠١.
(٣) يقع في مجلد.
(٤) ذكر أخي الباحث أحمد محمد بدير في دراسته، أنه حصل على نسخة مصورة لمخطوطته، من مكتبة "أوسلو" بالنرويج.
(٥) يقع في مجلد كبير.
(٦) مخطوط وتوجد نسخة منه في مكتبة الدولة بألمانيا - برلين. وهى تحت رقم(٣٤٣٥).
(٧) يقع في مجلد واحد.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٣٣ـ كتاب في الألغاز.

٣٤ـ كتاب القراء.

٣٥ـ مجموع في الخلاف على طريق المتأخرين[١].

٣٦ـ المحرر للملك المظفر[٢].

٣٧ـ مختصر التنبيه الأكبر.

٣٨ـ مختصر التنبيه الأصغر.

٣٩ـ مختصر المهذب[٣].

٤٠ـ مختصر عوارف المعارف لِلسَّهْرَوَرْدِي[٤].

٤١ـ مرسوم المصحف العثماني المدني.

٤٢ـ المسلك النبيه في تلخيص التنبيه.

٤٣ـ الملك النبيه في تلخيص التنبيه[٥].

٤٤ـ مناسك الحج والزيارة[١].

---

(١) يقع في مجلد ولم يتم.

(٢) جمع فيه أحكام الصحيحين.

(٣) يقع في مجلدين لطيفان.

(٤) توجد نسخة منه في مكتبة المتحف البريطاني بلندن وهى تحت رقم(٨٨٤/ ١).

(٥) مختصر التنبيه الأكبر في مجلد.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٤٥ـ النخبة المدنية، جزء لطيف.

٤٦ـ النكت الصغرى على التنبيه[٢].

٤٧ـ النكت الكبرى على التنبيه[٣].

٤٨ـ وجوه المعاني في قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «من رآني في المنام فقد رآني حقًا»[٤].

وبعض هذه المؤلفات لا زالت في غياهب المخطوطات، تحتاج إلى غواص يخرجها ويتناولها بالدراسة، وبعضها في حكم العدم، فنسأل الله أن يجندنا لخدمة تراث المسلمين المشرق.

---

(١) مخطوط، وتوجد نسخة منه في مكتبة المحمودية بالمدينة المنورة، تحت رقم(٢٨٠١/ ٢).

(٢) لم يتم منها إلا مجلد واحد ووصل فيه إلى الوكالة.

(٣) يقع في أربعة أسفار لطيفة.

(٤) **متفق عليه:** أخرجه البخاري، كتاب التعبير، باب من رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام ٩/ ٣٣، برقم ٦٩٩٤، ومسلم، كتاب الرؤيا، باب قول النبي عليه الصلاة والسلام من رآني في المنام فقد رآني، ٤/ ١٧٧٥، برقم ٢٢٦٦.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وأما أشعاره: فله شعر رائق عذب، وشاعريّتُهُ قوية. قال ابن تغري بردي: "وكان له نظم جيد"(١). وقد سبق بيان أن له قصيدةً صوفية(٢).

ـ ومن شعره: قصيدة نظمها يتشوق فيها لمكة، عندما استدعاه المظفر صَاحب الْيمن؛ ليسمع عَلَيْهِ الحَدِيث، وتوجه إِلَيْهِ من مَكَّة، وأقَام عِنْده مُدَّةً. ومِنْهَا:

مريضك من صدودك لَا يُعَاد ... بِهِ ألم لغيرك لَا يُعَاد

وَقد ألف التَّدَاوي بالتداني ... فَهَل أَيَّام وصلكم تُعَاد

لحا الله العواذل كم يلحوا ... وَكم عذلوا فَمَا أصفى وعادوا

وَلَو لمحوا من الأحباب معنى ... لما أبدوا هُنَاكَ وَلَا أعادوا

وَمِنْهَا:

أُرِيد وصالها وتريد بعدِي ... فَمَا أَشْقَى مرِيدا لَا يُرَاد.

وَهِي طَوِيلَة خمسها بعض الأدباء؛ لاستِحْسانه لَهَا(٣).

---

(١) المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي ١/ ٣٤٩.

(٢) مخطوط وتوجد نسخة منه في مكتبة الدولة بألمانيا - برلين. وهى تحت رقم(٣٤٣٥).

(٣) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٨/ ١٩.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ـ وقال الوزير الماجد أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: "أنشدني شيخنا محب الدِّينِ الطبريُّ لنفسه يخاطب الكعبة شرفها الله.

وقائلة هل يجمل النوم مع وصلي ... ومثلك محسود على الوصل من مثلي
فقلت: وحيي فيك ما نمت إنما ... بحسنك والحسنى غلبت على عقلي
وكيف ينام المستهام وعمره ... تقضى انتظارا يرتجي ليلة الوصل[1]

ـ وله قصيدة طويلة، مطلعها[2]:

ما لطرفي عن الجمال براح ... ولقلبي به غذاء وراح
كل معنى يلوح في كل حسن ... لي إليه تقلب وارتياح

ومنها[3]:

فيهم يعشق الجمال ويهوى ... ويشوقني الحمى وتهوى الملاح
وبهم يعذب الغرام ويحلو ... ويطيب الثناء والامتداح
لا تلم يا خلي قلبي فيهم ... ما على من هوى الملاح جناح
ويح قلبي وويح طرفي إلى كم ... يكتم الحب والهوى فضاح
صاح عرج على العقيق وسلع ... وقباب فيها الوجوه الصباح

والقصيدة طويلة كلّها على هذا المنوال.

ـ ومن نظمه ـ رضي الله عنه ـ، وهي قصيدة طويلة[1]:

---

(١) ملء العيبة ٢٤٥.

(٢) ملء العيبة/ ٢٤٥، النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ٨/ ٧٥، المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي ١/ ٣٤٩.

(٣) المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي (١/ ٣٤٩، النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة (٨/ ٧٥)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الوجد يشهد أنني مقتول ... بهوى المحجب والغرام كفيل
أسر الفؤاد جميله وجماله ... فالقلب فيه كثير وجميل

ـ ومن نظمه ـ رضي الله عنه ـ، وهي قصيدة طويلة[٢]

بالعامرية لي عن ربعها شغل ... نعم وبين الحشا من صدها شعل
لا تعذلا في هواها صاحباي ولكن ... أسعداني فقد ضاقت بي الحيل

ـ ومن نظمه ـ رضي الله عنه ـ[٣]:

أعيدوا لنا من وصلكم ما ألفناه ... وعودوا مريضا واله القلب مضناه
ولا تنسوا الفضل الذي كان بيننا ... وحسبكم عهد الأراك وذكراه

ـ ومن نظمه ـ رضي الله عنه ـ يشير إلى قول من أنكر التصويت في تقبيل الحجر الأسود[٤]:

إذا قبلت وجنة من تهوى ... فلا تسمعن صوتا ولا تعلن الشكوى
فقلت: ومن يملك شفاها مشوقة ... إذا ظفرت يوما بغايتها القصوى

وقال ابن فهر السبتي: "ومما أذن لنا في روايته عنه، ونقلته من خط صاحبنا أبي عبد الله، قَالَ: أنشدنا شيخنا بشير بن أبي بكر الجعفي الإمام الحافظ شيخ الحرم لنفسه[٥]:

---

(١) ملء العيبة ٢٤٧.
(٢) ملء العيبة ٢٤٧.
(٣) ملء العيبة ٢٤٨.
(٤) ملء العيبة ١٢٦.
(٥) ملء العيبة ٢٤٨.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أنيسي وحدتي في قعر بيتي ... لأني لم أجد أنسا في إنسي
ولما لم أجد في الإنس أنسا ... جعلت أنيس نفسي عين نفسي

وأما آراؤه واختياراته:

فلا أدري ما الذي نقله طلابه، مما لم يُذكر في كتبه؛ لعدم اطلاعي على كل ما كتبه ـ رحمه الله ـ، لكن: يمكن أن تراجع على سبيل المثال: "الهداية إلى أوهام الكفاية" للإمام عبد الرحيم بن الحسن بن علي الإسنوي الشافعيّ، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٧٧٢هـ)، و"النجم الوهاج في شرح المنهاج" للإمام كمال الدين، محمد بن موسى بن عيسى بن علي الدَّمِيري أبو البقاء الشافعي (المتوفى: ٨٠٨هـ)، و"كفاية الأخيار في حل غاية الاختصار"، للإمام أبي بكر بن محمد بن عبد المؤمن بن حريز بن معلى الحسيني الحصني، تقي الدين الشافعي (المتوفى: ٨٢٩هـ)، و"أسنى المطالب في شرح روض الطالب" و"الغرر البهية في شرح البهجة الوردية"، كلاهما للإمام زكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي (المتوفى: ٩٢٦هـ) وقد أكثر شيخ الإسلام زكريا الأنصاري ـ رحمه الله ـ عنه في الكتابين.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

من واقع تلك الآثار العلمية العظيمة، يتبين لنا مدى سعة علمه، وغزارة معارفه، مع البركة في حياته؛ ليبقى له لسان الصدق في الأخرين.

فرحمه الله ورضي عنه، وتقبله في الصالحين.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

سَابِعًا: وَفَاتُهُ:

تعددت الأقوال في وفاة الإمام المحب الطبري -رحمه الله- إلى أربعة أقوال[1]:

الأول: أنه توفي في جمادى الآخرة سنة أربع وتسعين وستمائة بمكة، ذكر ذلك تقي الدين الفاسي، وقال: "كذا وجدت بخط بعض العصريين"[2].

وقال ابن رشيد الفهري: "توفي شيخنا محب الدين الطبري ـ رضي الله عنه ورحمه ـ في مستهل جمادى الأخرى، من عام أربعة وتسعين وست مائة بمكة، شرفها الله"[3].

الثاني: توفي في أحد الربيعين (ربيع الأول، أو ربيع الآخر) من السنة المذكورة (٦٩٤هـ) حكى ذلك البِرْزَاليّ عن أمين الدّين ابن الواني[4].

---

(١) راجع: العقد الثمين ٣/ ٦٦، المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي ١/ ٣٤٨.

(٢) العقد الثمين ٣/ ٦٦.

(٣) ملء العيبة ٢٤٨.

(٤) العقد الثمين ٣/ ٦٧.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الثالث: توفي في رمضان من السنة المذكورة (٦٩٤هـ). حكى ذلك البرزالي، وابن قاضي شهبة، وحاجي خليفة[١].

الرابع: توفي في ذي القعدة من السنة المذكورة (٦٩٤هـ). حكى ذلك الفاسي، وابن قاضي شهبة، وابن تغري بردي[٢].

والقول الراجح: أنه توفى في جمادى الآخرة، سنة أربع وتسعين وستمائة بمكة المكرمة، في مقابر المَعْلَاة[٣]. وجزم الفاسي بأنه توفي في الثلث الأخير من ليلة الثلاثاء، ثاني جمادى الآخرة[٤].

وهذا القول ـ الراجح ـ ذكره جل من ترجم له كتقي الدين الفاسي في «العقد الثمين»[٥] والذهبي في «تاريخ الإسلام»[١]، وابن كثير في

---

(١) العقد الثمين ٣/ ٦٧، طبقات الشافعية ٢/ ١٦٣، سلم الوصول إلى طبقات الفحول ١/ ١٦٠.

(٢) العقد الثمين ٣/ ٦٧، طبقات الشافعية ٢/ ١٦٣، المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي ١/ ٣٤٨.

(٣) البداية والنهاية ١٣/ ٣٤٠، عقد الجمان ٣/ ٢٨٤. وباب المُعَلَّاة، وينطق بالتخفيف. أعلى مكة، وهو بالموضع الذي يعرف بالحَجُون، ومنه الخروج إلى طريق العمرة. راجع: رحلة ابن جبير/ ٧٧، رحلة ابن بطوطة ١/ ٣٧٠.

(٤) العقد الثمين، ٣/ ٦٦، المنهل الصافي ١/ ٣٤٩.

(٥) العقد الثمين ٣/ ٦٦.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

«طبقات الشافعيين»[٢]، وابن قاضي شهبة في «طبقات الشافعية»[٣]، والسخاوي في «التحفة اللطيفة»[٤]، والسيوطي في «طبقات الحفاظ»[٥]، وابن العماد في «شذرات الذهب»[٦]، وغيرهم.

فرحمه الله رحمة واسعة، وأجزل له وافر العطايا، وجعلنا وإياه من وُرَّاد حوض المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ

(١) تاريخ الإسلام ١٥/ ٧٨٤.
(٢) طبقات الشافعيين/ ٩٣٩.
(٣) طبقات الشافعية ٢/ ١٦٣.
(٤) التحفة اللطيفة ١/ ١١٧.
(٥) طبقات الحفاظ ٥١٤.
(٦) شذرات الذهب ٧/ ٧٤٤.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عَصْرُ المُحِبِّ الطَّبَرِيِّ.

لا شك أن أحداث التاريخ لها تأثير إيجابي أو سلبي في تكوين الشخص الناشئ فيها، فهو فرد ذو مشاعر وأحاسيس، يعيش في مجتمعه، يحزن لحزنه، ويفرح لفرحه، ويتأثر بما فيه.

والغرض من التعريف بعصر المؤلف، هو معرفة العوامل التي أثرت في تكوين شخصيته، وأخذ العبرة والعظة، ومعرفة دوره في مجريات تلك الأحداث.

وسأتعرض ـ باختصار ـ لعصر الإمام المحب الطبري، من الناحية السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، والعلمية، وأثره فيه، وتأثره به.

أَوَّلًا: النَّاحِيَةُ السِّيَاسِيَّةُ، وَأَثَرُهُ فِيهَا، وَتَأَثُّرُهُ بِهَا.

قدر الله ـ عز وجل ـ أن يعيش الإمام المحب الطبري ـ رحمه الله ـ في القرن السابع الهجري من عام ٦١٥هـ، عام مولده، إلى عام: ٦٩٤هـ، عام وفاته.

وقد ابتلي هذا العصر من الناحية السياسية بكثير من الأحداث المؤلمة، والفتن الشديدة. وقد كانت من أبشع السنوات

www.alukah.net
شبكة الألوكة

التي مرت على المسلمين منذ بعثة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى هذه اللحظة، فقد علا فيها نجم التتار، حتى اجتاحوا البلاد الإسلامية اجتياحًا لم يُسبق، وأحدثوا فيها من المجازر والفظائع والمنكرات ما لم يُسمع به مطلقًا. ويحدثنا عنها أبو الحسن عز الدين ابن الأثير ـ رحمه الله ـ، فيقول: "ثم دخلت سنة سبع عشرة وستمائة" وَذَكَرَ خروج التتر إلى بلاد الإسلام، ثم قال: "لقد بقيت عدة سنين معرضا عن ذكر هذه الحادثة استعظاما لها، كارها لذكرها، فأنا أقدم إليه رجلا وأؤخر أخرى، فمن الذي يسهل عليه أن يكتب نعي الإسلام والمسلمين؟ ومن الذي يهون عليه ذكر ذلك؟ فيا ليت أمي لم تلدني، ويا ليتني مت قبل حدوثها وكنت نسيا منسيا"[1].

ويلخص ما حدث بقوله: "ولقد بلي الإسلام والمسلمون في هذه المدة بمصائب لم يبتل بها أحد من الأمم.

منها: هؤلاء التتر ـ قبحهم الله ـ أقبلوا من المشرق، ففعلوا الأفعال التي يستعظمها كل من سمع بها.

ومنها: خروج الفرنج ـ لعنهم الله ـ من المغرب إلى الشام، وقصدهم ديار مصر، وملكهم ثغر دمياط منها، وأشرفت ديار

(١) الكامل في التاريخ ١٠/ ٣٣٣.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مصر والشام وغيرها على أن يملكوها، لولا لطف الله ـ تعالى ـ ونصره عليهم.

ومنها: أن الذي سَلِمَ من هاتين الطائفتين، فالسيف بينهم مسلول، والفتنة قائمة على ساق، فإنا لله وإنا إليه راجعون، نسأل الله أن ييسر للإسلام والمسلمين نصرًا من عنده، فإن الناصر والمعين والذابَّ عن الإسلام معدوم، **(وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ)** [الرعد: ١١]، فإن هؤلاء التتر إنما استقام لهم هذا الأمر لعدم المانع. **وسبب عدمه:** أن خوارزم شاه محمدا كان قد استولى على البلاد، وقتل ملوكها، وأفناهم، وبقي هو وحده سلطان البلاد جميعها، فلما انهزم منهم، لم يبق في البلاد من يمنعهم، ولا من يحميها **(لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا)** [الأنفال: ٤٢]"[(١)].

وإذا أردنا أن نلقي نظرة سريعة على واقع العالم كله، نجد أنه كان عبارة عن مسرح لثلاث قوى.

القوة الأولى: قوة المسلمين. وقد كانت مساحة العالم الإسلامي وقتئذ، تقرب من نصف مساحة الدنيا. فحدود بلاد الإسلام كانت تبدأ من غرب الصين، وتمتد عبر آسيا وأفريقيا، وتصل إلى غرب أوروبا وبلاد الأندلس. ولكن للأسف رغم

(١) الكامل في التاريخ ١٠/ ٣٣٥.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الأعداد الهائلة من البشر، والإمكانيات العظيمة من المال والسلاح والعلوم والثقافة، إلا أنهم كانوا مُفَرَّقِينِ مشتتين، وحالتهم السياسية متدهورة. فكانوا عبارة عن كيانات متفرقة.

الكيان الأول: الخلافة العباسية. وكانت تتخذ من بغداد عاصمة لها، ثم ضعفت جدًا في أوائل القرن السابع الهجري، حتى أصبحت لا تسيطر حقيقة إلا على وسط العراق وجنوبه، فكانت مجرد صورة. وكان حول العراق عشرات الإمارات المستقلة استقلالًا حقيقيًا عن دولة الخلافة. فكانت الدولة العباسية مجرد صورة، وليست خلافة حقيقية. وأفل نجمهم في عام (٦٥٥هـ)[1].

الكيان الثاني: كان متمثلًا في مصر والشام والحجاز واليمن، وقد كانت هذه الأقاليم في أوائل القرن السابع الهجري في أيدي الأيوبيين أحفاد صلاح الدين الأيوبي ـ رحمه الله ـ ولكن لم يكونوا على شاكلته. حيث تنازعوا الحكمَ، وقسموا الدولة الأيوبية، التي فتحت بيت المقدس. فاستقلت الشام عن مصر، وكذلك اليمن والحجاز. وانقسمت الشام إلى إمارات متعددة متحاربة. وكانت نهاية دولة الأيوبيين، وقيام دولة المماليك، وذلك سنة: ٦٤٨هـ، وقد

(١) تاريخ مكة/ ٢٨١.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

كان لكلتا الدولتين كثير من النفوذ والتأثير في مجرى الحياة السياسية في مكة المكرمة[1].

الكيان الثالث: بلاد المغرب والأندلس. وقد كانت هذه البلاد في تلك الآونة تحت إمرة دولة الموحدين، وكانت دولة قوية جدًّا، ومترامية الأطراف، فكانت تحكم من ليبيا شرقًا إلى المغرب غربًا، ومن الأندلس شمالًا إلى وسط إفريقيا جنوبًا. ثم توقفت انتصارات الموحدين على نصارى الأندلس الذين يمدهم الإفرنج، وكانت آخر معركة بينهم معركة الْأَرَك سنة ٥٩١هـ، وتوابعها. وفي مطلع القرن السابع خسر الموحدون معركة العقاب سنة: ٦٠٩هـ، فلم تقم للموحدين بعدها قائمة، وبدأت الأندلس في الانهيار[2]. هذه هي قوى المسلمين.

أما القوة الثانية: فهي قوة الصليبيين، وكان مركزهم في ذلك الوقت في غرب أوروبا، وكان لهم أكثر من معقل، وقد انشغل الأوربيون في ذلك الوقت بالحروب المستمرة مع المسلمين، فكان نصارى إنجلترا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا يقومون بالحملات الصليبية

---

(١) تاريخ مكة لأحمد السباعي/ ١٩٦.

(٢) تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس/ ٤١٨، دولة الموحدين، وسقوط الأندلس/ ١٤٩.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المتتالية المشهورة على بلاد الشام ومصر، وكان نصارى أسبانيا والبرتغال وفرنسا في حروب مستمرة مع المسلمين في الأندلس. بالإضافة إلى تجمعات صليبية أخرى في العالم، كان الحقد على الإسلام يملأ قلوبهم.

وكان أشهر هذه التجمعات: الدولة الرومانية الشرقية، التي كانت تحكم شرق أوروبا، وكانت تقع في غرب الأناضول المسلم، ومع أن حروب الدولة البيزنطية كانت شرسة مع الدولة الإسلامية عبر تاريخها، إلا أنها في ذلك الوقت كانت قد وصلت إلى حالة من الضعف، لا تسمح لها بدخول الأراضي الإسلامية، كما أن الدولة الإسلامية في ذلك الوقت كانت ضعيفة ومفرقة.

وكذلك التجمع الصليبي الذي كان في مملكة أرمينيا، التي تقع في شمال فارس وغرب الأناضول، فقد كانت أيضًا في حروب مستمرة مع المسلمين السلاجقة الأتراك في منطقة الأناضول.

وكذلك التجمع الصليبي في مملكة الكورج ـ جورجيا الروسية الآن ـ، فقد كانت دولة نصرانية، وإن كان فيها بعض القبائل الوثنية تعيش في نفس المنطقة، ولم تتوقف الحروب بينها وبين أمة الإسلام، وبالذات مع الدولة الخوارزمية.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ومن التجمعات الصليبية: الإمارات الصليبية في الشام وفلسطين وتركيا، فقد كانت تحتل مناطق إسلامية في داخل هذه البلاد(١).

وأما القوة الثالثة: فهي قوة التتار، التي ظهرت سنة (٦٠٣هـ) وقد قلبت الموازين تمامًا، وغيرت من خريطة العالم، وفرضت نفسها على الأرض، حتى أصبحت القوة الأولى في العالم. وقد ظهرت في منغوليا في شمال الصين، وكان أول زعمائها: هو "تيموجين"، المعروف بـ "جنكيز خان". أي: قاهر العالم أو ملك ملوك العالم. وكان سفاكًا للدماء، شديد البأس. وقد اتسعت مملكته، حتى بلغت حدودها من كوريا شرقًا، إلى حدود الدولة الخوارزمية الإسلامية غربًا، ومن سهول سيبيريا شمالًا، إلى بحر الصين جنوباً. وفي سنوات قليلة ملك الصين كلها(٢).

هذا هو حال العالم كله، والقوى المتحكمة فيه. **وحين نأتي إلى حال مكة على سبيل الخصوص،** وهي التي تهمنا أكثر؛ فهي

---

(١) قصة التتار من البداية إلى عين جالوت ١٥.

(٢) بصياغتي من الكامل في التاريخ ١٠/ ٣٣٦، وما بعدها.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

موطن الإمام المحب الطبري ـ رحمه الله ـ فقد تتابع عليها ولاة كثر، وكانت مدد حكمهم قصيرة، مما يدل على تدهور الحالة السياسية[1].

ومن أهم الأحداث التي وقعت فيها في تلك الحقبة: أن قتادة بن إدريس العلوي الحسني، تغلب على مكة في حدود سنة ٥٩٧هـ وقد اتسعت ولايته، من حدود اليمن إلى مدينة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وله قلعة ينبع بنواحي المدينة، وكثر عسكره، واستكثر من المماليك، وخافه العرب في تلك البلاد خوفا عظيما. وكان، في أول ملكه لما ملك مكة، حسن السيرة، أزال عنها العبيد المفسدين، وحمى البلاد، وأحسن إلى الحجاج، وأكرمهم، وبقي كذلك مدة، ثم إنه بعد ذلك أساء السيرة، وجدد المكوس بمكة، وفعل أفعالا شنيعة، ونهب الحاج في بعض السنين[2]. وظل حتى قتل (٦١٨هـ)، ثم تولى الحسن بن قتادة إمرة مكة بعده، وذلك عام (٦١٨هـ)، وتم الأمر للحسن وباشر حكمه بروح الرجل الشديد

(١) سردهم ومُدَدَهُم الفاسيُّ في شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ١/ ٤٥٦، وما بعدها.

(٢) الكامل في التاريخ ١٠/ ٣٦٧.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الذى لا يقبل هوادةً في أوامره، ودعا للعباسيين والأيوبيين ثم بعد فترة أخذ يدعوا لنفسه(١).

ولم يدم أمر الحسن بن علي بن قتادة في مكة طويلًا، فقد حدث شقاق بينه وبين أخيه راجحٌ فاتفق الأخير مع صاحب اليمن على إجلاء أخيه عن مكة، واستطاع راجحٌ أن يزين لصاحب اليمن احتلال مكة، وضمها إلى نفوذ الأيوبيين في مصر واليمن، فمضى المسعود على رأس جيش إلى مكة مصطحبًا معه راجحُ بن قتادة، فأجلى الحسن عن مكة، وأصبحت مكة تحت إمرة الملك المسعود وذلك عام (٦٢٠هـ)، ونهب عسكرُ المسعود بيوتَ مكة، وجردوا المدنيين من ثيابهم وأموالهم، ونبشوا قبر قتادة وأحرقوا تابوته.

وظلت مكة عرضة لهجوم القوات الأيوبية من مصر مرة، ومن اليمن أخرى، نحو ٢٨ سنة، بدأت بهجوم صاحب اليمن في عام ٦١٩هـ، وانتهت بهجوم أحد أولاد قتادة لاستخلاصها لنفسه في عام ٦٤٧هـ(٢).

---

(١) الكامل لابن الأثير ٣٦٧/١٠، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ٢، ٢٣٧، تاريخ مكة/ ٢٦٥ بتصرف.

(٢) المصدر السابق/ ٢٧٢.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وهكذا أصبحت مكة مسرحًا لفوضى الطامعين من الأيوبيين في مصر واليمن، يحتلونها بالتناوب، ويذيقونها من ويلات الحروب والفتن ما يذيقونها، إلا أن الأشراف ما لبثوا أن استخلصوا مكة من مغتصبيها بقيادة الحسن وابنه أبو نُمَيّ الأول، وهما من ذرية قتادة، وبذلك استطاعوا أن يستقلوا بحكمها، وبالرغم من الصعاب التي واجهها أبو نُمَيّ من أقاربه المنافسين، فإنه استطاع في النهاية أن يظفر بالإمارة ويحفظها مستقلة إلى أن انقرض عهد الأيوبيين في عام (٦٤٨هـ)، وأفل بعده نجم بنى العباس في عام (٦٥٥هـ)، ولاح في أفق السياسة كوكب المماليك الأتراك الذين استولوا على شؤون الحكم في مصر(١).

وبعد أن استولى المماليك على شؤون الحكم في مصر تطلعوا إلى مد نفوذهم إلى مكة، وشرع سلطانهم الظاهر بيبرس عام ٦٦٧هـ، ثم قلاوون بعده يحاولان بجميع الوسائل التدخل في شؤون أبى نُمَيّ، وحمله على الدعاء لهم على منبر مكة، وقد بذلا في سبيل ذلك كثيرًا من الأموال، وأغرياه بكثيرٍ من الهدايا، ثم جرّبا معه شيئًا من الوعيد عندما علما أن سياسته تنحاز إلى حكومة الرسوليين

(١) تاريخ مكة/ ٢٨١.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

في اليمن، حتى استطاع قلاوون في عام (٦٨١هـ) أن يفرض الدعاء له في مكة، وفرض فيها تداول النقود المطبوعة باسمه[١].

ولم تشهد مكة استقرارا سياسيا في تلك الفترة، حيث كانت القتن بين الأشراف كثيرة جدا، ولا يلبث أمير من الأمراء في الحكم إلا يسيرا، حتى يعزل أو يقتل[٢]، أو يكون صلح بين الأشقاء، فما يلبثوا أن يصبح نزاع، وكثيرا ما كان يذهب الحجاج ضحية تلك الخصومات، فتنهب أموالهم، وتزهق أرواحهم، أو يمنعون من دخول مكة[٣].

وهكذا عاش المحبُّ الطبريُّ فترةٍ مليئةٍ بالأحداث والاضطرابات التي عصفت بالجزيرة العربية، وكانً لمكة نصيبٌ وافرٌ من هذه الأحداث. ولم يرد ذكر بتدخل الإمام المحب الطبري في الحياة السياسية، إلا ما كان من صلة طيبة بالملك المظفر "صاحب اليمن" كما سبق بيانه[٤]. وكانت صلة علمية لا علاقة لها بسياسة الدولة.

(١) تاريخ مكة/ ٣٦٢.
(٢) شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ١/ ٤٥٦، وما بعدها.
(٣) علم الحديث في مكة المكرمة/ ٢٦.
(٤) وراجع: العقد الثمين ١/٦٥.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ثَانِيًا: النَّاحِيَةُ الاجْتِمَاعِيَّةُ وَالِاقْتِصَادِيَّةُ، وَأَثَرُهُ فِيهَا، وَتَأَثُّرُهُ بِهَا.

لا شك أن الحالة الاقتصادية للبلاد تتأثر إيجابا وسلبا بالحالة السياسية، فإذا كانت الحالة السياسية مستقرة، ازدهر الاقتصاد غاية الازدهار، نظرا لتأمين الموارد والمصادر الاقتصادية، من زراعات وصناعات وتجارات. وإذا كانت الحالة السياسية متدهورة، فبالطبع تتدهور الحالة الاقتصادية، ومن ثَمَّ تنعكس انعكاسًا مباشرًا على الحالة الاجتماعية. ولا يهمنا في هذا المقام إلا المجتمع المكي، الذي عاش فيه الإمام محب الدين الطبري ـ رحمه الله ـ.

فقد أنشئ في مكة في هذا العصر بعض المنشئات العمرانية، فقد أنشأ قتادة مؤسس الطبقة الرابعة من الأشراف سورًا في أعلى مكة، كما كان في مكة في ذلك العهد ثلاثة أبواب: باب المُعَلّاة، وباب المُسَفَّلة، وباب الزَّاهِر[1].

---

(١) **أولهن:** باب المُعَلَّاة، وينطق بالتخفيف المُعَلَّى، وهو أعلى مكة، وهو بالموضع الذي يعرف بالحَجُون، ومنه الخروج إلى طريق العمرة. **وثانيهن:** باب المُسَفَّلة، وينطق المُسَفَّل، وهو إلى جهة الجنوب، وعليه طريق اليمن. **وثالثهن:** باب الزَّاهِر، ويعرف أيضاً بباب العمرة، وهو غربي، وعليه طريق مدينة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومصر والشام وجدة. **رحلة ابن جبير/ ٧٧، وما بعدها، رحلة ابن بطوطة ١/ ٣٧٠.**

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وكان بها سوق حافل بين الصفا والمروة، وعلى مقربةٍ منه سوق للعَطَّارين والبَزَّازِين، وكان بمكة حمّامان، وعدة برك لتخزين المياه منها بركة الصارم، وكانت تتصل بسور المُعَلاَّةِ اتصالاً مباشراً مما يلي محلة شعب عامر(١).

وعند البحث في حالة المجتمع المكي نجد أنَّه يتألف من أربع طبقات(٢):

الطبقة الأولى: طبقة الأمراء والحكام (الأشراف): ففي مكة تجد أسرة قتادة بن إدريس الحسني، وابنه الحسن وراجح.

الطبقة الثانية: طبقة القوّاد: وهم أتباع الأشراف ومواليهم، وقد كان لهؤلاء قوة عظيمة ونفوذ كبير إذ كانوا يستطيعون ترجيح كِفَّة أحد الأطراف المتنازعة على الإمارة عندما يقع النزاع.

الطبقة الثالثة: بقية السكان، وهم العلماء، والتجار، وطلاب العلم، وغيرهم، ومن هؤلاء من هو من أهل مكة، ومنهم الوافدون الذين قدموا إليها من مختلف أنحاء العالم الإسلامي بقصد المجاورة والإقامة

---

(١) تاريخ مكة ص٢٨٣.

(٢) العقد الثمين ٦٥/١، الحياة العلمية والاجتماعية في مكة في القرنين السابع والثامن الهجري، ٢٣٧.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فيها للتعبد، وقد أصبح هؤلاء المجاورون وأحفادهم على مر الزمن جزءًا أساسيًا في المجتمع المكي.

الطبقة الرابعة: طبقة الرقيق والخدم. وقد كانت أجناسهم مختلفة، ففيهم من البرابرة، والأتراك، والأحباش، والفرس، والروم، والزنوج، وغيرهم.

تلك هي صفة المجتمع المكي، خليط من عدة أجناس، وكان لكل جنس من هؤلاء عادات وتقاليد في المأكل والملبس تميزهم عن الآخرين.

أما جو مكة: فكان هادئا نقيا، ولم يكن يعكر صفوها، إلا الخلافات التي كانت دائرة بين الأمراء.

قال أبو الفتح ابن المجاور: "وهواها صحيحٌ، وجوها طيب، وليلها أطيب من نهارها؛ لأنها تنزل في لياليها الرحمة. وماؤها من الآبار، وأطيبها ماء: الشبيكة والوردية والواسعة وهي بئر وراء جبل أبي قيس، فيها يربح الفقير، وأهلها عرب أشراف من نسل علي بن أبي طالب، وما بقي من أهلها: قرشيون على مذهب الأمام زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب[1]. وهم رجال سُمر؛ لأن جلة

---

(١) مذهب الزيدية من أعدل مذاهب الشيعة وأقربها إلى أهل السنة حيث لا يسبون الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ، وينظرون إلى الإمامة نظرة

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مناكحهم الجوار السود من الحبش والنوبة، وطوال الجثث صحيحو اللغة، قليلو المال، كثيرو العشائر والقبائل ذوو قناعة"[1].

وقد كانت أخلاق أهل مكة حسنة، وفيهم نبل وشهامة، وكرم وحسن جوار. يصف ابن بطوطة ذلك في رحلته، فيقول: "ولأهل مكة الأفعال الجميلة، والمكارم التامة، والأخلاق الحسنة، والايثار إلى الضعفاء والمنقطعين، وحسن الجوار للغرباء، **ومن مكارمهم:** أنهم متى صنع أحدهم وليمة يبدأ فيها بإطعام الفقراء المنقطعين المجاورين، ويستدعيهم بتلطّف ورفق وحسن خلق ثم يطعمهم، وأكثر المساكين المنقطعين يكونون بالأفران، حيث يطبخ الناس أخبازهم، فإذا طبخ أحدُهم خبزه، واحتمله إلى منزله، فيتبعه المساكين، فيعطي لكل واحد منهم ما قُسم له، ولا يردهم خائبين، ولو كانت له خبزة واحدة، فإنه يعطي ثلثها أو نصفها، طيّب النفس بذلك من غير ضجر. ومن أفعالهم الحسنة: أن الأيتام الصغار يقعدون بالسوق، ومع كل واحد منهم قُفَّتَانِ، كبرى

اعتدال، ولا يقولون بوجوب النص ولا بعصمة الأئمة. قال ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: "وهو ـ يعني الزيدية ـ أَعْقَلُ الشِّيعَةِ وَأَعْلَمُهُمْ وَخِيَارُهُمْ". منهاج السنة النبوية ٨/ ٢٤٧.

(١) تاريخ المستبصر/ ١٤، وما بعدها.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وصغرى، وهم يسمون القفّة "مِكْتَلًا". فيأتي الرجل من أهل مكة إلى السوق، فيشتري الحبوب واللحم والخضر، ويعطي ذلك للصبي، فيجعل الحبوب في إحدى قفتيه، واللحم والخضر في الأخرى، ويوصل ذلك إلى دار الرجل ليهيّأ له طعامه منها، ويذهب الرجل إلى طوافه وحاجته، فلا يذكر أن أحدا من الصبيان خان الأمانة في ذلك قط، بل يؤدي ما حمل على أتم الوجوه، ولهم على ذلك أجرة معلومة من فلوس"[(١)].

وأما لباسهم: فأكثر لباسهم البياض، فترى ثيابهم أبدا ناصعة ساطعة، وكانوا يلبسون الثياب الفضفاضة، وكانت نساؤهم تلبس الأقنعة البراقع. ويكتحلون ويكثّرون السواك بعيدان الأراك الأخضر[(٢)].

وأما طعامهم: فكان اللحم والسمن والخبز، وكانوا لا يأكلون في اليوم إلا مرّة واحدة بعد العصر، ويقتصرون عليها إلى مثل ذلك الوقت، ومن أراد الاكل في سائر النهار، أكل التمر؛ ولذلك صَحَّت أبدانهم، وقلّت فيهم الأمراض والعاهات[(٣)].

---

(١) رحلة ابن بطوطة ١/ ٣٨٧.

(٢) المصدر السابق.

(٣) رحلة ابن بطوطة ١/ ٣٨٩، وتاريخ المستبصر/١٥.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ونساء مكة: فائقات الحسن، بارعات الجمال، ذوات صلاح وعفاف[1].

وأما عاداتهم في الزواج: فقال ابن المجاور: "فإذا تزوج رجل من أهل مكة، وقطع المهر وأراد الدخول على المرأة، يخضب الرجال أيديهم وأرجلهم تزين. ويحضر كل أصدقائه من الأهل والأقارب وبيده قرطاس مشرور مكتوب عليه اسم الآتي، مع وزن المبلغ وعدده يقدمه قدام العروس، كل على حاله وسعة ماله، وكذلك يفعل النساء. ويخرج العروس إلى الحرم ويطوف سبعًا، ويصلي في مقام إبراهيم ركعتين، ويقبل الحجر الأسود، ويخرج بالشمع إلى بيت العروس، فتجلى عليه، ويدخل عليها ويبقى عندها سبعة أيام. ففي اليوم السابع يخرج يضم الطرح الذي طرح له، ويدبره رأس مال في يده، وعند ذلك يفتح له دكانًا يعيش به. ويكون ذلك الطرح دَيْنًا عليه، وكل من تزوج من القوم الذين حضورا العرس يدر إليهم الذي أخذ، إلى كل واحد من القوم، مثل الذي جاء به إليه، أو أزيد منه[2].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ولأهل مكة عناية بحفلاتهم، وقد تحدث ابن جبير عن هذه الحفلات فقال: إنه رآهم ليلة رجب يحتفلون بالعمرة فيخرج النساء إليها بالهوادج، يسيل بها أباطح مكة وشعابها، وقد زُيِّنت الهوادج بقلائد رائقة المنظر من الحرير، وفاضت عليها الأستار حتى تسحب أذيالها على الأرض، ولم يبق تلك الليلة بمكة أحد إلا خرج للعمرة من أهلها ومن المجاورين لها.

وفى صباح رجب يخرج الأمير إلى العمرة في حشدٍ عظيم ويخرج معه أهل مكة قبيلة قبيلة، وحارة حارة، فرساناً ورجالاً، يتواثبون ويتثاقفون بالأسلحة حراباً وسيوفاً في حذقٍ عجيب، وكانوا يرمون السيوف في الهواء ثم يتلقونها قبضاً على قوائمها كأنها لم تفارق أيديهم بالرغم من شدة زحامهم، فإذا عاد الأمير من العمرة هرع إلى المسجد وشرع يطوف في حشده العظيم[1].

وقد كان للمرأة في هذه الحياة الاجتماعية دور لم يكن يختلف عن أختها في سائر العالم الإسلامي، فقد كانت مهمتها الأولى أداء واجبها كأم، ولم يمنعها ذلك من طلب العلم ومدارسته، فكان لها مشاركتها في الحقل العلمي، كما كان لها مشاركات في العمل الخيري، إضافة لوظيفة النظارة على الأوقاف، أو توليتها لمشيخة

(١) رحلة ابن جبير/ ٩٥، وما بعدها، بتصرف.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بعض الأربطة، وهذه مناصب لا تسند عادة إلا بالكفاءة والصلاح والتقوى، الأمر الذي يدل على علو شأن المرأة المكية في هذا العصر(١).

تلك لمحة يسيرة في وصف الحياة الاجتماعية والاقتصادية بمكة المكرمة، في فترة من القرن السابع الهجري، تعطينا صورة مجملة عن البيئة التي عاش فيها المحب الطبري، والتي تأثر بها؛ فهو وآباؤه كانوا من طبقة العلماء.

ولا شك أن هذه الحياة في مكة كان لها تأثير في تكوين المحب الطبري، فقد نهل من علومهم، وتحلى بأخلاقهم، ومن ثم كان له أثر طيب في المجتمع عموما، وفيمن كان يرجو رِفْدَهُ خصوصا.

ويظهر هذا فيما ذكره بهاء الدين الجندي اليمني في: السلوك في طبقات العلماء والملوك": أن الشيخ أبا الحسن علي بن أحمد الأصبحي، لما قدم الْفَقِيه الْمُحب الطَّبَرِيّ من مَكَّة الى تعز باستدعاء من السُّلْطَان المظفر، وأقام بهَا، وَسمع الْفُقَهَاء عَلَيْهِ عدَّة كتب، وَقَرَأَ عَلَيْهِ المظفر سَمَاعا كتبا من الحَدِيث وَالْفِقْه وَغَيرهمَا. . وصل اليه أبو الحسن الأصبحي، وَقَرَأَ عَلَيْهِ من جملَة من قَرَأَ عَلَيْهِ، ثمَّ اخبره بِحَدِيث انْخراج، وأنه يعجز عَنهُ، فَأمره يكْتب ورقة الى المظفر،

(١) الحياة العلمية والاجتماعية، ٢٤٨ بتصرف.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فَفعل. وَلما دخل على الْعَادة عرضهَا، وَتكلم مَعهَ كلَاما لايقا بِالْوَقْتِ، فَكتب لَهُ المظفر بمسامحته فسومح"[1].

وذكر أبو محمد اليافي في: "مرآة الجنان" أن المحب الطبري كان له جاه عظيم، وحظ كريم عند الملك المظفر صاحب اليمن، وله معه حكايات عجيبة، منها أنه لما قدم الملك

المظفر صاحب اليمن، طلب منه قرابته وأصحابه أن يشفع لهم عنده، وطمعوا أن يحصل لهم منه نفع، وكان عادة السلطان المذكور أن يطلب محب الدين في كل وقت، فلما قدم مكة لم يطلبه، ولم يجتمع به سوى عند قدومه، فحصل لمحب الدين من ذلك قَبْضٌ، ولم يزل كذلك إلى أن فرغ من أعمال الحج، ثم لقيه الشيخ أبو العباس، فسأله عن حاله، فأخبره إنما هو غير منشرح، بسبب عدم ما كان يرتجي من النفع على يديه، واشتغال السلطان عنه، فقال له الشيخ أبو العباس عند ذلك: أنا الذي شغلته عنك خشية أن يشغلك عن أعمال الحج، ولكن الآن أطلقه حتى يلتفت إليك، ويطلبك كما كان. فعند ذلك أرسل السلطان يطلبه، وقضى له ما أراد من حوائجه وحوائج من تعلق به من الناس[2].

---

(١) السلوك في طبقات العلماء والملوك ٢/ ٧٩.

(٢) مرآة الجنان وعبرة اليقظان ٤/ ١٦٨.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ثَالثًا: النَّاحِيَةُ العِلْمِيَّةُ، وَأَثَرُهُ فِيهَا، وَتَأَثُّرُهُ بِهَا.

تعتبر مكة المكرمة من أهم العواصم العلمية في البلاد الإسلامية، بحكم فضلها وشرفها، وكونها قبلة للعبادة والعلم معًا، ففيها أكبر مؤتمر عالمي، يلتقي فيه العلماء والعبّاد، وقد حظي القرن السابع من هجرة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بنشاطٍ علميٍ، نبغ فيه جمعٌ من العلماء الربانيين، في كل فنٍّ.

وعدد العلماء فيه: فاق المائتي عالم، ومؤلفاتهم أكثر من أن تحصر. ومن هؤلاء العلماء الذين كان لهم أثر كبير في ازدهار الحياة العلمية: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ)، وأبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (المتوفى: ٦٠٦هـ)، وأبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠هـ)، وعبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم، أبو القاسم الرافعي القزويني (المتوفى: ٦٢٣هـ)، وشهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ)، وعلي بن محمد بن عبد الملك الحميري الفاسي، أبو الحسن ابن القطان (المتوفى: ٦٢٨هـ)، ومحمد بن عبد الغني بن أبي بكر بن شجاع، أبو

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بكر، معين الدين، ابن نقطة الحنبلي البغدادي (المتوفى: ٦٢٩هـ)، وأبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ)، والعلامة الشيخ عثمان بن الصلاح عبدالرحمن بن موسى بن أبي النصر الشافعي (المتوفى: ٦٤٣ هـ). والعلامة عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله، أبو محمد، زكي الدين المنذري (المتوفى: ٦٥٦هـ)، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ). وغيرهم[(١)].

وقد توافر في هذا العصر كثير من المؤسسات التعليمية، التي أَثْرَتِ الحياةَ العلمية إثراءً كبيرا. منها: **في الحديث الشريف:** كدار الحديث الأشرفية في مصر والشام، ودار الحديث الأشرفية البرانية، ودار الحديث السكرية، ودار الحديث النورية، ودار الحديث النفيسية، وغير ذلك[(٢)]. **وفي الفقه الشافعي:** كالمدرسة الأتابكية بدمشق[(٣)]،

---

(١) وراجع: الحياة العلمية والاجتماعية في مكة، في القرنين السابع والثامن الهجري/ ١٢٧.

(٢) الدراس في تاريخ المدارس ١/١٥: ٨٤.

(٣) المصدر السابق ١/٩٦.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والمدرسة الأصفهانية[1]، والمدرسة الطبرية[2]، وغير ذلك. في سائر العلوم الأخرى.

أما في مكة: فَثَمَّ عدة مؤسسات تعليمية عظيمة، ومنها:

ـ **المسجد الحرام:** حيث كان ولا زال ملتقى العلماء والعباد، في مواسم الحج، والعمرة، والزيارة، وغير ذلك.

ـ **المدارس العلمية:** في مكة شتى العلوم، وقد كان الأمراء وأصحاب الأموال يتنافسون في بناء تلك المدارس، ومن أشهرها[3]:

المدرسة الزنجلية: وتعرف بـ "دار السلسلة". وقد أنشأها الأمير فخر الدين عثمان بن علي الزنجيلي، نائب عدن، وهى بالجانب الغربي من المسجد الحرام، وموضعها عند باب العمرة، وهى الدار المعروفة بدار السلسلة، وكانت موقوفة على فقهاء الحنفية، وكان وقفها سنة تسع وسبعين وخمسمائة.

المدرسة المنصورية: أوقفها الملك المنصور عمر بن علي بن رسول، صاحب اليمن، فقهاء الشافعية، وكان بها درس حديث، وتاريخ وقفها سنة: ٦٤١هـ.

---

(١) المصدر السابق ١/١١٨.

(٢) المصدر السابق ١/٢٥٤.

(٣) العقد الثمين ١/ ١١٧، الدارس في تاريخ المدارس ١/٤٠٤.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مدرسة طاب الزمان الحبشية: أنشأتها: طاب الزمان الحبشية، عتيقة المستضيء العباسي، وأوقفتها على عشرة من فقهاء الشافعية، وتاريخ وقفها سنة: ٥٠٨هـ.

المدرسة الشرابية: أوقفها إقبال الشرابي خادم المستنصر بالله، سنة إحدى وأربعين وستمائة، على الفقهاء الأربعة، إلى جانب دراسة النحو والصرف، وعلوم أخرى، وقد أوقف عليها أرضًا للإنفاق على المدرسين والطلبة.

مدرسة أبي علي بن أبي ذكرى: وقد أوقفها الإمام الشهيد ـ ولا أعرف من هو ـ وتاريخ وقفها: سنة خمس وثلاثين وستمائة، وهي واقعة جنوب المسجد الحرام.

ثم أخذت المدارس بعد ذلك في الازدياد والانتشار، ويتضح من وجود هذه المدارس مدى النهضة العلمية التي شهدتها مكة المكرمة.

وإضافة لهذه المدارس العلمية، فقد وجد عدد من المكتبات العلمية، وإن كانت قليلة نوعا ما بالقياس إلى العواصم الإسلامية الأخرى، مثل: بغداد، والقاهرة، ودمشق، حيث كانت المكتبة أولا داخل الحرم الشريف، أمام بئر زمزم، ولم تكن مكتبة كبيرة، ثم نقلت بعد ذلك خارج الحرم، لكن بعد التوسعات القديمة دخلت الحرم مرة أخرى، ثم بناها العثمانيون بباب الدريبة، ثم ما

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لبثت أن دخلت المسجد الحرام أيضا، وظلت هكذا إلى عهد قريب[1].

ويظهر تأثر الإمام المحب الطبري ـ رحمه الله تعالى ـ بهذه المدارس العلمية، وعلمائها الأفذاذ، من خلال ما نراه نتاجه العلمي الذي بين أيدينا، ومنه هذا الكتاب على سبيل المثال، ومن خلال نقله عن علماء عصره.

وواضح تأثيره أيضا في ازدهار الحياة العلمية في مكة. فقد كان شيخ الحرم، كآبائه، وأجداده[2]. وقد تولى التدريسَ في المدرسة المنصورية[3]. وقد سبق بيان ذلك.

وبهذا يتضح أن البيئة التي عاش فيها الإمام المحب الطبري ـ رحمه الله ـ أثرت فيه، وفى تكوينه العلمي، فقد نشأ وترعرع في بيت العلم، فلا ريب أن يخرج منهم عالم محدث كالمحب الطبري.

فرحمه الله رحمة واسعة، وجزاه عن الإسلام وأهله خيرا.

❁ ❁ ❁

---

(١) مقدمة غاية الإحكام في أحاديث الأحكام ١/٢٦.

(٢) معجم الشيوخ الكبير للذهبي ١/ ٥١. وراجع: الوافي بالوفيات ٧/ ٩٠، طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٨/ ١٨، سلم الوصول إلى طبقات الفحول ١/ ١٦٠.

(٣) العقد الثمين ٣/ ٦٥.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

خير معين للمرء بعد الإخلاص: القراءة في سير العلماء المخلصين

كـــرِّرعلـــيّ حـــديثَهم يـــا حـــادِي ... فحـــديثُهُم يجلُـــو الفـــؤَادَ الصَّـــادِي
كـــرِّرعلـــيَّ حـــديثَهُم فلربَّمـــا ... لَـــانَ الحَديـــدُ بضَـــربَةِ الحَـــدّادِ

هذا الكتاب منشور في